الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد الصديق بن يحيى تاسوست – جيجل–

كلية الآداب واللـغات قسم اللغة والأدب العربي

موضوع المذكرة

الثورة والحنين في الأعمال الكاملة

"لابن الشاطئ"

مـذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إعداد الطالبتين:

– سومية بورويس

– حميدة بوشوية

إشراف الأستاذ الدكتور:

عبد العزيز شويط

أعضاء لجنة المناقشة:

الدكتور: محمد زكور	رئيسـا
الأستاذ الدكتور: عبد العزيز شويط	مشرفا ومقررا
الأستاذ: راشد شقوفي	عضـوا مناقشا

السنة الجامعية:

1440/1439هـ

2019/2018 م

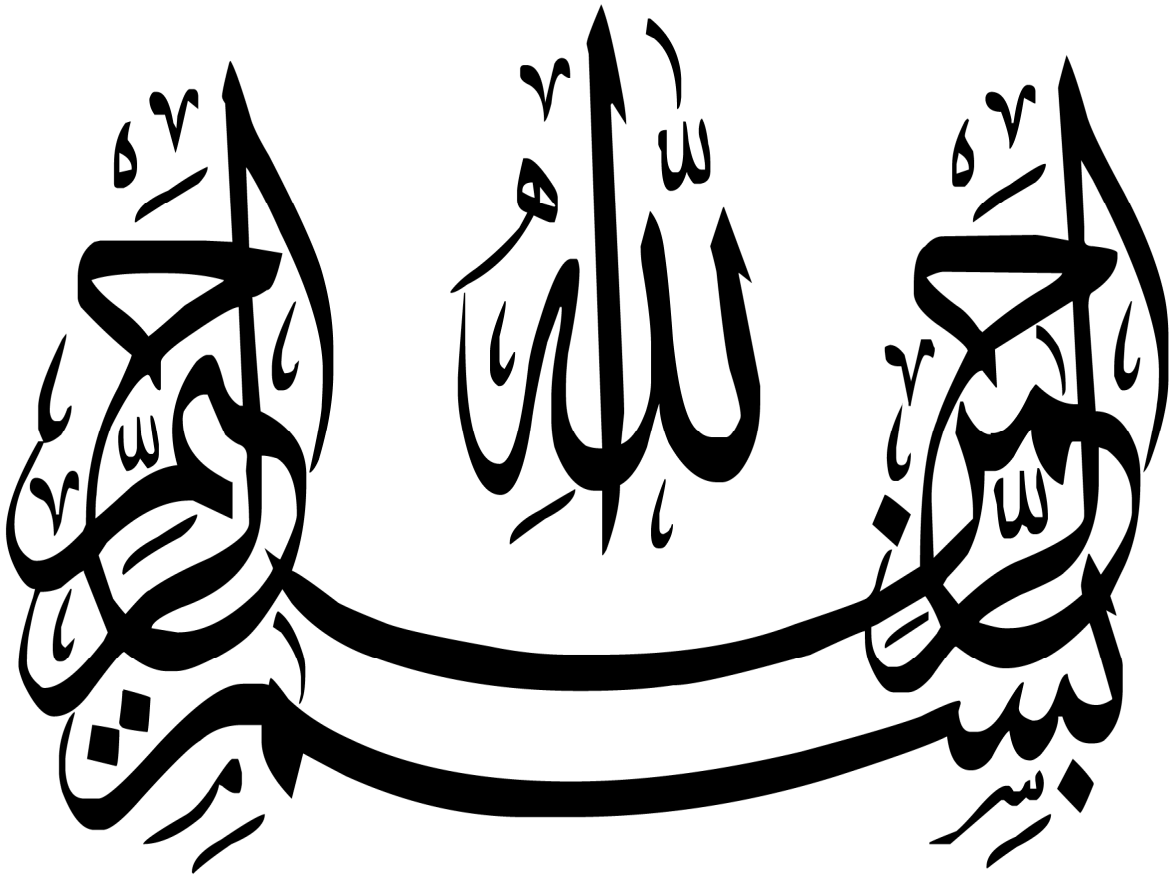
بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

يعتبر فن الشعر من أرقى الأجناس الأدبية وأقدرها على تصوير حال الشعوب، فهو الأكثر تجاوبا مع مختلف ظروف الحياة التي عاشتها، فكانت علاقة الشعوب بالشعر علاقة وطيدة منذ القدم حتى قيل "الشعر ديوان العرب"، فهو بذلك السجل التاريخي الذي يعكس صورة الشعوب العربية.

فلما كان الشعر بهذا القدر من الأهمية، كانت الثورة أهم حدث تاريخي دونه الشعراء بكل همومه وتجلياته فكانت عاملا اضطراريا دفع بهم إلى الهجرة عن الوطن، وهذا ساهم بشكل مباشر في تفاقم ظاهرة الحنين إلى الأوطان ومسارح الصبا.

فقد أجمع الشعراء على اختلاف مشاربهم وتطلعاتهم على الوفاء للثورة ومجرياتها، والحنين باعتباره شعورا نبيلا كانت هي سببا في تطوره، وبذلك كانت الثورة والحنين من الموضوعات التي اهتزت لها قرائح الشعراء لأن الأولى: (الثورة) مفخرة للوطن وأبنائه وهم يتطلعون من خلالها إلى التغيير والتحدي، أما الثانية: تنفيس عن النفس ومشاعرها خاصة لمن يعانون حُرقة البعد عن ديار الغربة.

فكان ابن الشاطئ من الشعراء الذين كتبوا عن عمق الجرح الفلسطيني بثورته ومآسي الغربة، وهذا يدعو ملحا إلى دراسة شعره، فارتأينا أن يكون موضوع دراستنا هو: الثورة والحنين في الأعمال الكاملة لابن الشاطئ.

فقد عبر ابن الشاطئ عن عمق التجربة الشعرية لديه من خلال دعوته إلى التغيير والطموح إلى غد أفضل، وقد كانت تجليات الثورة واضحة في شعره، كما لم يغفل في أشعاره عن خلق الصور والألفاظ الدالة على حالته الشعورية في ديار الغربة، وهو ما يحاكي الثورة الفنية، فكانت رسالته مقصودة تحمل في طياتها أسمى معاني الحنين، خاصة شوقه إلى وطنه الأم وأمله في العودة إلى ربوعه، وتجلى ذلك من خلال ذكر مآثره.

ومن الإشكالات التي يتمحور حولها هذا الموضوع منها: ما تجليات الثورة والحنين في الأعمال الكاملة لابن الشاطئ؟ وما الدواعي لذلك.

إن موضوع بحثنا هذا المعنون بـ" الثورة والحنين في الأعمال الكاملة لابن الشاطئ" قد اعتمدنا في تجسيده على خطة اشتملت على: مقدمة وفصلين وخاتمة، فجاء الفصل الأول بعنوان "الثورة والحنين في الشعر العربي الحديث –مقاربة نظرية– بمبحثين: تناولنا في المبحث الأول: الثورة في الشعر العربي الحديث، أما المبحث الثاني: فجاء بعنوان الحنين في الشعر العربي الحديث.

أما الفصل الثاني فكان تطبيقيا تناولنا فيها تجليات الثورة والحنين في الأعمال الكاملة لابن الشاطئ، وجاءت الخاتمة حصيلة لنتائج البحث نظريا وتطبيقا.

ومن أهم المصادر والمراجع المعتمدة في إعداد موضوع البحث نذكر منها: الأعمال الكاملة لابن الشاطئ محمود دوريش ومفهوم الثورة في شعره لفتحية محمود، خصام ونقد لطه حسين، الثورة الجزائرية في الشعر المصري المعاصر لأحمد مزدور، الحنين في الشعر الأندلسي (القرن السابع الهجري) لمحمد أحمد دقالي.

أما فيما يخص المنهج فقد اعتمدنا على المنهج الوصفي التحليلي، وهذا لا يعني استبعاد حضور مناهج نقدية أخرى كالمنهج الإحصائي الذي اقتضت الضرورة اعتماده.

ومن الدراسات السابقة التي عكست جوانب أخرى غير موضوع دراستنا نذكر: محمد العربي الأسد: خصائص البنية الأسلوبية في شعر ابن الشاطئ أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب العربي الحديث جامعة الإخوة منتوري قسنطينة، وقد اعتمد في دراسته على مستويات التحليل الأسلوبي والتي تمثلت في المستوى الصرفي والصوتي والتركيبي.

ويرجع سبب اختيارنا لموضوع البحث " الثورة والحنين في الأعمال الكاملة لابن الشاطئ" لرغبتنا الذاتية التي تمثلت في شغفنا الشديد لدراسة الشعر بدل النثر.

عدم دراسة الموضوع سابقا بالرغم من أهمية هذا الشاعر وقيمته، وتكمن أهمية الدراسة أيضا في أنها:

تكشف عن التجربة الشعرية لدى الشاعر خاصة اتجاه موطنه فلسطين، وبهذا يتمكن الباحث من التحليل بعمق الظواهر الشعرية لديه.

كما تعتبر هذه الدراسة مجالا خصبا أمام الدارسين والباحثين الجدد للخوض في شعر ابن الشاطئ، لأنه كان غزير الشعر، كذلك أن شعره فلسطيني محض، صادر عن قومية عربية متشبعة بعمق الجرح، فكان شاعرا معطاءا بفضل نتاجاته الشعرية والإبداعية.

أما هدفنا من هذه الدراسة هو محاورة النص الشعري عند ابن الشاطئ، وكذلك من خلال إبراز تجليات الثورة والحنين في شعره.

وكأي دراسة واجهتنا صعوبات لا بد من الإشارة إليها أهمها:

- تشعب موضوع الدراسة.

وبعد هذا كله نأمل أن تكون دراستنا هذه لبنة جديدة تكون عونا لمن يأتي بعدنا من الدارسين.

وفي الختام نتوجه مجددا بخالص الشكر وفائق الاحترام للأستاذ المشرف الدكتور عبد العزيز شويط الذي كان خير معين ومرشد لنا في مسيرتنا البحثية إلى أن اكتملت صورة هذا البحث.

الفصل الأول

الثورة والحنين في الشعر العربي – مقاربة نظرية –

المبحث الأول: الثورة في الشعر العربي الحديث

أولا: تعريف شعر الثورة

ثانيا: علاقة الشعر بالثورة

ثالثا: الشعر الثوري وثورة الشعر

رابعا: خصائص الشعر الثوري

المبحث الثاني: الحنين في الشعر العربي الحديث

أولا: تعريف شعر الحنين

ثانيا: أسباب ذيوع شعر الحنين

ثالثا: خصائص شعر الحنين

المبحث الأول: الثورة في الشعر العربي الحديث:

أولا: تعريف شعر الثورة:

تعدّدت وتباينت تعريفات النقاد والأدباء والباحثين حول شعر الثورة، واختلفت تسمياته منها: شعر المقاومة، الشعر التحرري، الاتجاه الثوري ...الخ، وكلها مسمّيات لمعنى واحد ووحيد ألا وهو: شعر الثورة، وحتى وإن تعدّدت المسمّيات واختلفت التعريفات فإن ذلك لا ينفي الإطار العام الذي يدور حوله هذا الشعر، فجوهره يقوم أساساً على استنهاض الهمم وبثّ روح المقاومة والصّمود.

الشعر الثوري مصطلح مؤلف ومركّب من مفردتين هما: الشعر والثورة؛ فالشعر هو ذلك الكلام الموزون الصّادر عن قريحة الشاعر وعواطفه ومكنوناته، أمّا الثورة فهي ذلك النّهوض من أجل إحداث التغيير إلى ما هو أفضل أو العكس.

هناك العديد من الشعراء والأدباء الذين توجّهوا إلى هذا النوع من الشعر أمثال: مفدي زكريا، محمود درويش، سليمان العيسى، وغيرهم على اختلاف جنسياتهم، فهذا النّوع من الشعر وليد الظروف والأحداث المصاحبة لفترة زمنية معيّنة، وقد اعتمده الشعراء كنوع آخر من أشكال المقاومة بدل الرصاص والبندقية، فقد وجدوا في كتاباتهم وأقلامهم المتنفس الوحيد لنقل الوضع والأحداث بحذافيرها، وتصوير الواقع كما هو تصويرا حقيقيا دون زيادة أو نقصان.

ويعتبر شعر الثورة من أكبر العوامل المساهمة وبشكل كبير في نشر الوعي والتحريض على الثورة وسط الأفراد والدّفع بهم للرّفض وعدم تقبّل الوضع والخروج من قوقعة الاستعمار، ومحاولة إثبات وجوده وذاته، فالكلمة لها وقع وأثر أكبر من وقع الرّصاص في تغيير الأوضاع وإنارة الطريق للأفراد، لاسيما إذا كانت هذه الكلمة تلامس عواطفهم وأحاسيسهم وتصوّر أوضاعهم تصويراً صادقاً.

إنّ الشعراء على اختلاف توجهاتهم وانتماءاتهم لم يبخلوا عن أوطانهم ودافعوا عنها بالقلم والكلمة وعلى قضاياه، وحملوا هموم شعبهم ومجتمعاتهم، فهؤلاء الشعراء وإن اختلفت إعتقاداتهم وأفكارهم، فقد وحّدتهم وجمعتهم إنسانيتهم وحبّهم لوطنهم وغيرتهم عليه، وبذلك حملوا مشعل الحرّية وراية المقاومة.

هناك العديد من التعاريف الاصطلاحية لشعر الثورة من بينها تعريف قدّمه "أحمد مزدور" حيث يقول: «للشعر الثوري دوره الفعّال في شحذ النفوس، وشحنها بالرّوح النّضالية والتعبئة الثورية وخلق الرأي العام المناهض للاحتلال ورفع الرّوح المعنوية للمقاتلين»[1]

فالشعر الثوري هو ذلك الشعر الذي يثير في نفس المقاتلين دافعية نحو تحقيق أمانيهم وآمالهم وطموحاتهم، وهو الذي يوقظ شرارة الحماسة في النفوس من أجل النّهوض وكسر القيود والوقوف في وجه المستعمر وخلق روح ثورية بين أوساط الأفراد، ذلك أنّ الشعر الثوري يدعو إلى استنهاض الهمم والسعي إلى التّحرر من أجل بناء مستقبلٍ وغدٍ أفضل وخلق حياة كلّها أمل وحبّ وطمأنينة، تخلو من الهمجية والدّموية ويسودها الأمن والسلام.

ويذهب حبيب دحو نعيمة إلى أنّ: «شعر الثورة يعتبر السّجل والرّسالة الخالصة، حيث استطاع الشعر التأثير في مسار الثورة، وساهم من جهة أخرى في تحريض هذا الشعب، وإلهامه القوة والعزيمة للتحرّك والقضاء على العدو»[2]

إنّ شعر الثورة كان له دوره الفعّال في الدّفع بالثورة إلى الأمام فهو عبارة عن سطور كُتبت بحبر الأقلام ورسّخت في ذهن الأفراد بمعانيه ودلالاته العميقة والموحية والمعبّرة، فكان له الفضل في التحام الشعب وتحريضه للوقوف في وجه الاستعمار والقضاء عليه.

ويرى "صالح خرفي" أنّ الشعر الثوري هو: «الملتصق بالثورة في سهولها وجبالها، في مغاورها وكهوفها، المنصهر فيها وثبة فدائية في المدن، أو ملحمة عسكرية في الجبال، الملتزم بها كرّاً وفرّاً، هزيمة ونصراً، هذا الشعر يكاد يكون العمود الفقري لإنتاج الثورة»[3]

فالشعر الثوري هو العصب والمحرّك وهو أساسي وضروري لها، فهما متلازمان ويكمّل أحدهما الآخر، إذ هو مرآة عاكسة لمجريات ذلك الواقع، فالثورة دون شعرها الخاص ثورة عقيمة.

---

[1]– أحمد مزدور: الثورة الجزائرية في الشعر المصري المعاصر، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 1426هـ– 2005م، ص 29.

[2]– حبيب دحو نعيمة: شعرية الخطاب الثوري عند بلقاسم خمّار، مجلّة كتابات ثورية، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، ع3، جوان 2015م، ص 60.

[3]– صالح خرفي: الشعر الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، د س، ص 239.

إنّ الشعراء عموماً والشاعر الجزائري خصوصاً: «... تعبيره أصدق التعابير، وتناولهُ للشعر الثوري بكلّ أشكاله المتاحة لم يكن من باب إبراز الفحولة والتنافس على الرّيادة والشّهرة بقدر ما كان نقلا لمعاناة شعب وتصوير لواقع مرير»[1]

فتصوير الواقع بكلّ جزئياته وتفصيلاته من بين أهمّ الرّكائز التي يقوم عليها الشعر الثوري إلى جانب ركائز أخرى.

ويشير "عز الدين إسماعيل" إلى مفهوم الشعر الثوري فيقول: «... الموقف الثوري (...) إن هو إلاّ تمرد إيجابي على الواقع ومحاولة لتغييره، فالثورة تخرج دائما من عباءة التمرد»[2]

إن الموقف الثوري هو تجسيد لفعل يهدف إلى إحداث تغيير واختلافات على شتى بنى المجتمع بشكل إيجابي ومفيد.

ويذهب "أحمد مزدور": «إذا كان شعر الحروب بوصفه عادة بأنّه انفعالي، فليس خطراً أن يكون انفعالي في مواقف تتطلّب الانفعال لأنّ غايته إثارة انفعال المتلقين لتعبئتهم وشحنهم بالشجاعة في مواجهة العدو، فإن كان سلاح الحروب الدّبابة والطائرة والمدفع ...الخ فإن الشعر الثوري التحرّري هو الذي يصوغ وجدان المقاتل الذي يستخدم هذه الأسلحة»[3]

شعر الحروب والشعر الثوري التحرّري بينهما علاقة تكامل، حيث يكمّل أحدهما الآخر فالأول: هو استعمال تلك الأسلحة من دبابات وغيرها، والثاني: هو تصوير ووصف للأحداث ولوجدان المقاتل.

ويقول "أحمد مزدور": «يكاد الشعر التحرّري لا يخرج من مضمونه عن التحريض، واستنهاض الهمم والفخر بالأمجاد العربية والحضّ على التضحية والإيمان بالنصر وهو بهذا شعر إنساني قبل أن يكون شعرا قوميا، لأنّ التحرّر همّ مشترك بين الشعوب التي تعاني من نير الإستعمار»[4]

---

[1]–مصطفى بن عبد الله: تجليات الثورة التحريرية في الشعر الجزائري الحر (دراسة نماذج)، مجلة كتابات ثورية، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، ع3، 2015.، ص 77.

[2]– عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر _ قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية_ دار الفكر العربي، د ب، ط3، د س، ص 400.

[3]– أحمد مزدور: الثورة الجزائرية في الشعر المصري المعاصر، مرجع سابق، ص 06.

[4]– المرجع نفسه، ص 38.

كما سبق وذكرنا فإنّ الشعر الثوري أو التحرّري يدور ويسبح في مجال معين هو: استنهاض الهمم والفخر بالأمجاد والتضحية في سبيل الوطن، ذلك الوطن الذي نفديه بأرواحنا، فهذا الشعر يعالج قضايا إنسانية بالدّرجة الأولى: كالحرية وتقرير المصير والأمن ....الخ، وكثيرة مثل هذه القضايا التي يسعى إليها كلّ شخص محبّ لوطنه.

وعليه فشعر الثورة هو الشعر الذي يقوم على تصوير الواقع بكلّ تفاصيله في فترة زمنية محدّدة، تكون مرتبطة بما يسمّى بالثورة، فهو يسعى إلى استنهاض الهمم وإثارة الحماسة في النّفوس وشحذها، وهو كذلك محاولة لإحداث نوع من التغيير وخلق نقلة نوعية في وسط المجتمع إلى ما هو أفضل، فهو القلب النّابض للثورة والدّم المتدفّق في الشرايين المعلن عن الحياة.

ثانيا: علاقة الشعر بالثورة

يعتبر الشعر والثورة وجهان لعملة واحدة، وبما أن الشعر «هو اللغة، لغة التحدي إنه بداية الوصول إلى المستقبل»[1]

فهو بذلك وسيلة إفصاح وتعبير ودفاع لا تقل أهمية عن أسلحة الثورة الأخرى.

فالثورة التي تسعى لـ«لخروج على الوضع الراهن والعمل على تغييره إلى وضع أفضل أو أسوأ، باندفاع يحرّكه عدم الرضا والتطلّع إلى الأفضل أو حتى الغضب»[2]،وبهذا كانت «مهمة الشعر التعليم إلى جانب التأثير»[3]

هذا التأثير يتناسب مع فعالية الثورة باعتبارها رد فعل يهدف إلى التغيير والاستمرارية، فلكل ثورة رجالها وقادتها الذين ينظمونها ويخططوا لها.

لقد لعب الأدباء والشعراء خاصة دور الجندي المغوار في مختلف الثورات التي نشبت في ربوع العالم بأسره، وبهذا كان «الشعر أكثر فلسفة وأبدع من التاريخ وأكبر منه قيمة»[4]

---

[1]– محمد الصالح خرفي: أبو القاسم خمار بين ثورة الشعر وشعر الثورة _دراسة نقدية_، جمعية الإمتاع والمؤانسة، د ب، د ط، 2004م، ص 05.

[2]– فاتح عياد: الأغنية الثورية في ولاية قالمة، دراسة موضوعية فنية (الأدب الشعبي)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، الجزائر، 2016- 2017م، ص 14.

[3]– السعيد الورقي: لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، د ط، 2004م، ص 16.

[4]– السعيد الورقي: لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 1984م، ص 17.

فكانوا الداعين لها والناقلين لخططها في شتى الصور، بأحاسيس مرهفة نابعة من الذات الشاعرة، فلابد من الاعتراف بصدق عاطفته التي تميز حسّه الثوري الذي يتضمن لمسة سحرية ينفرد بها كل شاعر.

فهذا الشاعر "نزار قباني" في قصيدته الموسومة بـ "على دفتر النكسة" يقول:

يَا وَطَنِي الحَزِين
حوّلتَني بِلَحْظةٍ
مِنْ شَاعرٍ يكتبُ الحبَّ والحنين
لشَاعرٍ يكتبُ بالسّكِين..

لأنّ مَا نُحسّهُ

أكْبَر مِنْ أَوْرَاقِنَا. [1]

فالشاعر يقدّم للثورة كل ما لديه من مشاعر وأحاسيس، وحتى انفعالات، محاولاً من خلالها إحداث صدى قوي على الساحة الأدبية والحربية معا.

ومن ثمة يكون الهدف من «الشعر إبراز فكرة أو صورة أو عاطفة يفيض بها القلب في صيغة متسقة من اللفظ، تخاطب النفس وتصل إلى أعماقها من غير حاجة إلى كلفة أو مشقة»[2]، لأنه الأكثر ليونة والأقدر على التعبير عن مكنونات النفس من جهة واحتواء وتبني الثورات من جهة أخرى باعتباره «فن المقاومة بشكل عام أي أنّه أكثر الأنواع الأدبية قدرة على امتصاص رحيق الكارثة ومقاومتها في حينها»[3]

من هنا تتضح أطراف أهداف العلاقة بين الشعر والثورة، فالشاعر ثائر والجندي ثائر أيضا، وهذا ما جعل التأثير والتأثر بينهما يؤذي إلى تخليد أسماء شعراء مثل: "مفدي زكريا"، "محمود درويش"، "محمد العيد آل خليفة"

[1]– نزار قباني: الأعمال السياسية لنزار قباني، منشورات نزار قباني، بيروت، لبنان، د ط، د س، ج3، ص ص 73، 74.
[2]– محمد حسين هيكل: ثورة الأدب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، د ط، د س، ص 44.
[3]– غالي شكري: أدب المقاومة، دار المعارف، القاهرة، مصر، د ط، د س، ص 317.

وغيرهم، وتخليد ثورات ليبقى صداها يتكرّر على مرّ العصور وبهذا "قد ساهمت الثورة بقسط وافر في خلق إنسان (...) جديد ترعرع في حضنها، وانصهر في بوثقتها وتربى بين أحضانها"[1]

إن هذه الثورات التي يتغنى بها الشعر، فالتاريخ خلّدها كأحداث وتواريخ، أمّا الشعر باعتباره شكل أدبي فني قد أضاف إليها لمسته الموحية بمختلف القيم التي لها أثر في حياة الشعوب، لهذا حفظها وجعلها في أعلى المراتب، وفي هذا الصدد يقول الشاعر "محمد العيد آل خليفة" في قصيدته "يا قوم هبّوا":

حُثّوا العَزَائِمَ واصْـــدُقُوا الآمَـــالاَ إنَّ الزَّمَانَ يُسَجِلُ الأَعْمَالاَ
يُحْصِي ويَكْتُبُ في صَحَائِفَ شِعْرَهُ أَعْـــمَالَنَا وَيَذِيعُنـــا أَقْــوَالاَ

يَا قَـــوْمُ هُبُّوا لاغْتِنَـــامِ حَيَاتِكُمْ فَالعُمْرُ سَاعَات تَــمُرُّ عِجَالاَ
الأَسْرُ طَالَ بِكُمْ فَـــطَالَ عَنَاؤُكُمْ فَكُّوا القُيُودَ وَحَطِّمُوا الأَغْلاَلاَ[2]

من خلال هذه الأبيات يتّضح لنا وجود دعوة صريحة إلى تبني روح الثورة، من خلال التّمرد والدعوة إلى تحطيم القيود والوصول إلى أسمى معاني الحرية، بهذا أصبح التعبير عن الثورة من خلال الشعر هو إكسابها قيّم بحاجة إليه.

ثالثا: الشعر الثوري وثورة الشعر:

لقد أشرنا سابقا إلى وجود علاقة تلازمية بين الشعر والثورة، وأنّ الشعر بفعل سحر ملفوظاته خدم الثورة ولا يزال يخدمها من خلال الكشف عن مسارها ومكنوناتها، لكن يستوقفنا سؤال مهم ألا وهو: ما هي العلاقة بين الشعر الثوري وثورة الشعر؟

يصطلح على مختلف الإصدارات الأدبية والإبداعية التي واكبت تطورات الثورة أو بالأحرى التي ولدت من رحمها ونخصّ بكلامنا هذا النوع الأدبي "الشعر" فهو بهذا كلّ ما قيل في كلّ المواقف الحرجة والاضطرابات الثورية، يعنى هذا أن الثورة شغلت اهتمام الشعراء وأصبحت موضوع شعرهم المحوري.[3]

---

[1]– بلقاسم بن عبد الله: دراسات في الأدب والثورة، دار هومة، الجزائر، ط1، ديسمبر 2001م، ص 22.

[2]– محمد العيد آل خليفة: ديوان محمد العيد آل خليفة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، د ط، 2010م، ج1، ص 307.

[3]– ينظر: فطيمة بوقاسة: جميلة بوحيرد الرّمز الثوري في الشعر العربي المعاصر، ترجمة لمذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير (شعبة: أدب الحركة الوطنية)، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2006– 2007م، ص 07.

يعدّ الشعر الذي أُنتج في خضمّ صراعات الثورة شعراً متميزاً بالإحباط أحيانا، فالشاعر يقول كل ما يجوب به خاطره، فكان شعرا رديئاً في أحيان وجيّد في أحيان أخرى، ولقد كان يصوّر المواقف الثورية بجدارة، كما يعيشها المحارب في أرض المعركة، أي أنّ هذا الشعر صورة نقية تعكس تمظهرات الثورة بوصفها العاطفة المتغيرة فهو لا يختلف كثيراً عن الشعر الذي أنتج بعد هدوء الثورة، وظهور أثارها ومختلف إنجازاتها، والذي يندرج جلّه تحت ما يسمى: بشعر الثورة، ولقد نال هذا الجانب الحظ الوافر من الإبداعات، فكان الشعر الذي يظهر بعد: «أن تستقر الأوضاع، وتنضج الأمور وتختصر الأشياء والأفكار في الذاكرة، وتنمو تلك البذرة الطيّبة فهي إذا هي شجرة مباركة جذورها في الأرض وفروعها في السّماء»[1]

وبهذا اكتسى هذا النوع من الشعر صيغة ثورية بامتياز.

إنّ الثورة أتاحت للشّاعر فرصة وجو للتعبير وإبداء رأيه، فنجد العديد من شعراء الثورة تزخر مؤلفاتهم بالحديث عن موضوع الثورة: «فها هو الشاعر أحمد سحنون يشير إلى أنّ الشعر في حقيقته ثورة»[2]

حيث نجده يقول في أحد قصائده المعنونة بـ "فلسطين":

«فَمَا الشّعْرُ إلاَّ ثَوْرَة غَيْرَ أَنّهَا! "تَصُولُ بِلاَ كَفٍّ وَتَسْعَى بِلاَ رِجْلٍ»[3]

فالكثير من الشعراء الذين كانت قصائدهم تحمل في ثناياها وطيّاتها روحا ثورية، ساهمت في التحريض للثورة وعلى سبيل المثال لا الحصر هناك "مفدي زكريا" يقول:

اعصفي يا رياحْ واقصفي يا رعود

واثخني يا جراح واحدقي يا قيود

نحن قوم أباه

ليس فينا جبان

---

[1]– بلقاسم بن عبد الله: دراسات في الأدب والثورة، ص 176.

[2]– محمد الصالح خرفي: أبو القاسم خمار بين ثورة الشعر وشعر الثورة _دراسة نقدية_، ص 08.

[3]– أحمد سحنون: ديوان الشيخ أحمد سحنون، الديوان الأول، منشورات الحبر، الجزائر، ط2، 2007م، ص 121.

قد سئمنا الحياة

في الشقا والهوان

لا نمل الكفاح لا نمل الجهاد

في سبيل البلاد. [1]

فالشاعر من خلال هذه الأبيات يحاول بث روح المقاومة والتصدّي في نفوس الشعب، وعدم الرّضا بواقعه الذي يعيشه محاولاً جعلهم ينفضون عنهم قيود الاستعمار، وبالتالي تقرير مصيره بنفسه دون خضوع واستسلام.

ويعتبر "مفدي زكريا" من أبرز الشعراء الذين كان لشعرهم أو كلماتهم تأثير واضح وكبير على مختلف الميادين من سياسة وأدب ...الخ، فقد كانت كلماته ذات وقع في نفس الشعب وأكبر دليل على ذلك قول "عمر بن قينة": «من شعراء هذه الفترة البارزين مفدي زكريا شاعر الثورة الجزائرية الذي تجاذبته السياسة والتجارة والأدب، وكان الحس الثوري القومي متميزا فيها وبخاصة في شعره الذي وافق نصوص الحركة الوطنية منذ العشرينات وازداد توقّداً بعد اندلا ع الثورة المسلحة في 1954 (...) فلعب شعره ذلك دوراً مهما»[2]

وككلّ أديب أو شاعر آخر فقد كان لـ"مفدي زكريا" نتاج عزير في الخطاب الشعري، وكلّها إنتاجات رائعة، لكن دائما ما يكون هناك إنتاجات تطغى على أخرى من حيث: الجودة أو الفنيّة والأثر المخلّف في نفوس المتلقين، فديوانه اللّهب المقدس جعل منه شاعر للثورة بامتياز: «... ديوان اللّهب المقدس الذي قامت عليه شهرة الرّجل كما حمل صوته الثوري النّضالي عن الجزائر المجاهدة (...) وأهله للقب شاعر الثورة»[3]

ولقد اختلف الدّارسون حول الشعر الثوري المكتوب في كنف الثورة خصوصاً، فنجد من هؤلاء عميد الأدب العربي "طه حسين" الذي بفضل مكانته وقيمته الأدبية يشكّك في مختلف الإصدارات والإبداعات الأدبية التي تنتج أثناء الثورة؛ أي أنّها إبداعات بلا قيمة لافتقادها للأدبية، وهذا ما جعلها محلّ الشكوك فأنت عندما تقرأ ما كُتب في هذه الفترة بالتحديد تجد نوعا من النّقص الذي يمسّ الجانب الفنّي بالضرورة وبهذا لن نجد: «... ما

---

[1]– مفدي زكريا: اللّهب المقدّس، موفم للنشر، الجزائر، د ط، 2009م، ص 73.

[2]– عمر بن قينة: الأدب الجزائري الحديث تأريخا ... وأنواعا ... وقضايا ... وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 4، 2009م، ص ص 70، 71.

[3]– المرجع نفسه، ص 72.

يلائم ذوقك بل لن نجد (...) ما يرضي عقلك المستأني، وحكمك الذي يريد أن يتدبّر قبل أن يصدر»[1]، فبحكم حديثه عن الأدب الفرنسي أشار "طه حسين" إلى الأدب بشكل عام أنّه أدب موجّه لخدمة هذه: «الظروف والأوقاف التي أغوت ودفعت إليها»[2]

ومن ثمة كان الأساس منه هو تحريض الجماهير بالرّغم من أنّه مجرّد خطب وأحاديث عابرة.

فمهما كانت مختلف الإصدارات الأدبية التي تقال في مقام الثورة مجرّد دخلوا خواطر أو انتفاضة تعبر عن نفس إلاّ أنّها تبقى مؤشراً تاريخياً يستند إليه الباحث والمؤرخ على وجه الخصوص، لأنها كشفت ونقلت وقائع الثورة بكل حذافيرها: «فلمّا تغيّرت تلك الظروف وانقضت تلك الأوقات، أصبحت تلك الخطب والأحاديث تاريخا من التاريخ، لا تصلح إلاّ لقراءة الباحثين الذين يريدون أن يؤرخوا للأحداث»[3]

إنّ الأدب الذي ينشأ أثناء الثورة يحتاج إلى متلق باعتباره عنصراً فعالاً في تلقي الخطاب الأدبي، وبهذا كان الأدب: «أثناء الثورة تضطرب نفوس النّاس بالأمل والطموح، ونفوس فريق منهم بالخوف والمحافظة متواضع، مقتصد، يمشي على استحياء . إن أمكن وصف الأدب بالمشي والحياء أيضا . لأنّ النّاس مشغولون عنه بأحداث الثورة ممّا يقع، وما يُنتظر وبما تدفع إليه هذه الأحداث»[4]

لقد برّر "طه حسين" ضعف المستوى الفني لدى الأدب أثناء الثورة في نقطتين هما:

الأولى: «الأدب الذي ينشأ أثناء الثورة (...) يجري على طبيعته الأولى فيكون اتصالاً للأدب القديم»[5]

أي أنّ الأدب في مجمله ما هو إلاّ محاكاة وتقليد لأدب سابق.

الثانية: الأدب الذي يعبّر عن مجرى أحداث الثورة فهو بذلك: «دعوة لها وإغراء بها وهو بهذه الحالة أدب ضعيف فاتر لأنّ الأحداث الواقعة أقوى منه وأطهر»[6]

---

[1]- طه حسين: خصام ونقد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط13، كانون الأول، ديسمبر 1987م، ص 156.

[2]- المرجع نفسه، ص 156.

[3]- المرجع نفسه، ص 156.

[4]- المرجع نفسه، ص 158.

[5]- المرجع نفسه، ص 159.

[6]- المرجع نفسه، ص 159.

ويوجه في ذلك "طه حسين" قوله هذا: «اقرأ إن شئت فيما يتصل بالأدب الفرنسي أثناء الثورة ما كتبه شاتو بريام في مذكرته عن إلمامه بباريس حين كانت النّفوس مضطربة وثائرة فستراه يصف أندية الأدباء في ذلك الأوقات بالضعف، والفتور وقلة الغناء»[1]

وخلاصة القول أنّ "طه حسين" يدعو إلى الإبداع والخلق وفق الظروف التي تسمح بذلك أي أنّه يدعو إلى الإنتاج الأدبي بعد تجاوز الثورة لا في خضمّ مجرياتها.

كما نستحضر أيضا في قضية ثورة الشعر موقف الكاتبة "فتحية محمود" في كتابها الموسوم "بمحمود درويش ومفهوم الثورة في شعره".

وكما أشرنا سابقا أنّ شعر الثورة يختلف عن ثورة الشعر، فإنّ الثورة في مسار دراستنا هذه لا تخرج عن معنيين أساسيين هما: الثورة ذلك التّغيير الأساسي الذي يمسّ مختلف الأوضاع السياسية والاجتماعية، ويكون الشعب هو المؤسس لها، أمّا المعنى الثاني: فهو تلك التغيرات الجذرية التي تطرأ على بناء الشكل العام للقصيدة سواء كان عموديا أو حراً، فثورة الشعر حسب الكاتبة هي تلك الثورة التي: «تتعدى ذلك التمرّد الشعري الجزئي إلى ثورة تشمل كلّ ما في القصيدة، وتهدف بصفة خاصة إلى خدمة الإنسان، فالإنسان في علاقاته المصيرية المتشابكة والمختلفة هو الهدف الأسمى لثورة هذا الشعر وتغيير حياة الإنسان العربي والمجتمع العربي بصفة خاصة»[2]

إذ أنّ مفهوم الثورة في شعر "محمود درويش" تتجلى في موقفين هما: «مستوى الواقع والقضايا المصيرية للأمة، ومستوى الفن»[3]

أي أنّ الشاعر اتخذ مستويين يعبّر فيه عن أفراح وأقراح مجتمعه، فيصبح شعره مرآة تعكس ظروفه التي هي في اتصال تامٍ مع بيئته، وهذا ما يوضّحه الشاعر في قوله: «وكون الشعراء يملكون أصوات مسموعة لا ينبغي أن يخلق الانطباع بوجدانيتهم، وبانقطاع انتمائهم إلى جماهير تملك ماضياً وحاضراً ثوريين »[4]

[1]– طه حسين: خصام ونقد، مرجع سابق، ص 159.

[2]– فتحية محمود: محمود درويش ومفهوم الثورة في شعره، المؤسسة الجزائرية للطباعة، د ب، د ط، 1987م، ص 22.

[3]– المرجع نفسه، ص 26.

[4]– المرجع نفسه، ص 26.

فثورة الشعر التي يبدعها الشاعر هي بالضرورة ثورة تتماشى مع حركة الجمهور أو المتلقي، ولا يخرج عن نطاق تصوّراته المتعدّدة وهذا لا يعني أن ثورة الشعر تنحصر في التعبير عن الواقع الاجتماعي للمجتمع الواحد ومصيره القومي، بل تتعدّى إلى: «الطرف الثاني من المعادلة الشعرية، وهو مستوى الشعر نفسه، أي الجانب الفني في الشعر، فكيف تتحقّق هذه الثورة على مستوى الشعر»[1]

وللإجابة عن هذا التساؤل لابدّ من الإشارة إلى أنّ الثورة ما هي إلا تعبير عن الأوضاع في ظلّ المقاومة والصّمود، ونعني بها أيضا ذلك التّغيير الذي يمارس على القصيدة بوصفها وحدة أجناسية متكاملة وفي هذا الصّدد يمكننا القول أنّ: «... النشاط داخل الشعر في اتخاذ المواقف من التراث، والتّجديد الدّائم للعلاقات القائمة في القصيدة وتغيير هذه العلاقات لا بتهديمها، بل بتطويرها»[2]

وهذا هو مفهوم ثورة الشعر التي يعود الرأي فيها للذّات الشاعرة، فالشعر إذن هو تطور وتجدّد يتماشى وطبيعة الشاعر وظروفه وهذه الثورة تختلف من شاعر إلى آخر، لأنّها تتماشى بالضرورة مع قرائحه الشعرية وأغراضها.

إنّ مختلف التغيرات التي مسّت الشعر باعتباره أقوم الوحدات الأجناسية الكبرى وأقدرها على التّغيير ترجع: «... إلى عوامل اجتماعية تحرّرية وسياسية اجتاحت العالم العربي، فأوجبت ظهور هذا النّوع من الشعر خاصة، وأنّ بداية هذه الثورات رافقت بداية الثورة التحررية التي شاهدتها أقطار عديدة من الوطن العربي، وهذا ما يؤكد وجود الاستعدادات والعوامل المباشرة للتّغيير والتّجديد، هذا إلى جانب التأثر بالشعر والمذاهب الغربية»[3].

و"محمود درويش" هو الآخر كان له رأي حول ثورة الشعر على حدّ تعبير "فتحية محمود"، ففي هذا الصّدد تقول: «وتتمثل ثورة الشعر على مستوى الإنسان والواقع. في نظر محمود درويش. في الأدوار النضالية التي يؤديها الشعر داخل حركة الجماهير، كالإسهام في توعيتها على قضاياها المصيرية وعلى الجوانب السّلبية في واقعها بكلّ أبعاده، ثمّ المشاركة في أهدافها وطموحاتها من أجل تغيير هذا الواقع وتحسينه»[4]

ومن ثمة يكون الشعر أحسن الأشكال الأدبية الأقدر على التعبير عن الحس الثوري لدى الشاعر.

---

[1]– فتحية محمود: محمود درويش ومفهوم الثورة في شعره، مرجع سابق، ص 28.

[2]– المرجع نفسه، ص 29.

[3]– المرجع نفسه، ص 20.

[4]– المرجع نفسه، ص 27.

ومن هذا المنطلق كانت الثورة: «.على مستوى الشعر وبنائه الفنّي لا تحدث بمعزل عن الثورة التي يحدثها الشاعر بواسطة الشعر بواقع الجماهير، وإنّما هي مرتبطة متفاعلة معها لأنّ ثورية الشاعر يحدّدها نشاطه داخل الجماهير بواسطة الشعر، هذا النّشاط الذي يؤثر على نشاط داخل الشعر نفسه»[1]

ومن هذه النّاحية يمكننا القول أنّ الثورة بمختلف تغيراتها الجذرية سواء كانت داخلية أو خارجية يكوّن الشاعر الثوري بصمته الخاصة فيها باعتبارها موضوع يثير قريحته في كلّ حين.

فشاعر الثورة "محمود درويش" يصرّح بأنّ الثورة تتماشى وتتفاعل مع ثورة الشعر، فأغلب الشعراء حافظوا في مسيرتهم الشّعرية: «على الوزن الخليلي لأنّه الأقدر على الاستفزاز والأنسب للقصيدة الخطبة (...) بعد نشوب حركة المقاومة (...) يسيطر على الشّعر موضوع جديد هو فعل الثورة والفداء من جهة والشعور بضرورة الصّمود والمقاومة من جهة ثانية»[2]

وهناك أيضا الشاعر "محمد خمّار" الذي كان شعره موجهاً نحو الثورة مباشرة، فهو مرتبط بها أشدّ الارتباط من ابتعاده عنها وهذا ما يدلّ عليه قول "محمد الصالح خرفي": «لقد شكّلت الثورة نقطة تحوّل في مسيرة خمّار الشعرية، فبعد أن كانت الثورة مخاضا ها هي الآن حقيقة، وبالرّغم من كون خمّار يعاني البعد الجغرافي من أرض المعركة، فهو مرتبط أشدّ الارتباط بالثورة»[3]

وكما هو معروف هناك عاطفة كبيرة بين الثورة والخطاب الشعري: «... فكلّما زاد لهيب الثورة (على الصّعيد الواقعي المادي) زاد الشعر حدّة وقوّة (على الصّعيد الشعري والشعوري)»[4]

أغلب الشعراء أثناء فترة الاحتلال كان لديهم ما يعرف بالحس الثّوري ذلك الشعور الصّادر عن الشاعر الذي يحبّ وطنه ويغار عليه ولا يقبل له الذّل والمهانة: «فالحسّ الشعوري كان ملازما للشاعر محمد بلقاسم خمّار على طول مسيرته الشعرية . قبل الثورة وبعدها . وشعره (...) يندرج ضمن مصطلح ثورة الشعر»[5]

---

[1]– فتحية محمود: محمود درويش ومفهوم الثورة في شعره، مرجع سابق، ص 27.

[2]– المرجع نفسه، ص 29.

[3]– محمد الصالح خرفي: أبو القاسم خمار بين ثورة الشعر وشعر الثورة _دراسة نقدية_، ص 36.

[4]– المرجع نفسه، ص 36.

[5]– المرجع نفسه، ص 30.

فمن هذا المنطلق تبيّن لنا العلاقة الوطيدة بين مفهوم الشعر الثوري وثورة الشعر فكلاهما يشكّلان وجهان لعملة واحدة؛ أي أنّ الثورة وما تحمله من مختلف الموضوعات التي تعبّر عن المقاومة والدّفاع عن السّيادة الوطنية لها الأثر الخاص في بنية الشكل الشعري، وهذا التّغبير يبقى مستمراً ومتماشيا مع تغيّر مجرى الأحداث الثورية.

رابعا: خصائص الشعر الثوري:

تعتبر الثورة الجزائرية من أكبر الثورات العربية وقعا، والتي شهدها العالم العربي، وهذا راجع لما قدّمه أبطالها من تضحيات جسام في سبيل استرجاع الحرية، ولقد كانت الثورة وعاء الشعر الذي لا ينفذ، فهو يعبّر عنها وعن مبادئها، فلولاه لبقيت حبيسة الصمت بكماء، باعتبار الشعر جنسا أدبيا أسمى يرقى لتصوير مكامن النفس والمجتمع، لهذا اتخذّ الشعراء والأدباء موقفا لا يملّ إلى جانبها، فكانوا مدافعين عنها وداعين لها بالكلمة بدل السلاح، سواء من طرف أبنائها أو أبناء الأمة العربية مغربها ومشرقها.

نظراً لعظمة هذه الثورة استوقفت أقلام وجعلتها تكتب لها دون غيرها، تحت مسمّى "الشعر الثوري"، فتغنى بها الشعراء وبنتائجها مفتخرين بأبنائها البواسل الذين أبدوا صمودهم في وجه العدو ولأجل نيل راية الشهادة والاستشهاد.

تستوقفنا نقطة مهمة وهي أن نشير إلى أهم الشعراء الذين حملوا لواء الوفاء للثورة ك "مفدي زكريا"، "محمد العيد آل خليفة"، "أبو القاسم خمّار"، "محمود درويش"، "سليمان العيسى"، "أبو القاسم الشابي"، وغيرهم كثير.

فجادوا بشعر غزير لتخليد ثورة الجزائر خصوصاً، فكلّ منهم تفرّد بصوته وإحساسه العارم بالجزائر وأرضها، ونضالها، فاكتسب هذا الشكل الشعري (الثوري) خصائص منها:

– **قوة الألفاظ (اللّغة)**: إن التعبير عن الحس الثوري يستند في مجمله إلى حسن الصياغة، والتي لا تكون إلا باستخدام الألفاظ الموحية والقوية، فهو من خلال ذلك يحاول الوصول إلى سمات سامية تنقل أحاسيسه وتشغل التفكير العام، فهذا "سليمان العيسى" من سوريا الشقيقة قدّم قلمه هدية وطوعا للتعبير عن الثورة الجزائرية، فكان قلمه تضحية ودفاعا عنها في سبيل استرجاع الحرية، فأصبحت بذلك قضية الجميع، يقول في مقطع من "ملحمة الجزائر":

روعةُ الجرح فوق ما يحملُ

اللفظ، ويقوى عليه إعصارُ شاعرْ

أأغنّي هديرَها، والسماواتُ

صلاةٌ لجرحها، ومجامرْ ؟

أأناجي ثوارَها، ودويُّ

النار أبياتهم ، وعصفُ المخاطرْ ؟[1]

فرغم هذا فالجرح لازال قائما، فالدور البطولي الذي لعبه شاعرنا في سبيل تحقيق القضية الجزائرية ترويه دواوينه إيمانا صادقا وعزم لا مثيل له في سبيل الانتصار واسترجاع الأصالة العربية.

– شمولية الثورة: فالثورة باعتبارها تحول يسري في دماء الشعب، فقد شملت مختلف الأعمار، والأجناس رجالاً ونساءً، فهذا "أحمد الدجيلي" يشيد بعظمتها وشموليتها، يقول: «أن الثورة الكبرى فاجأت المستعمر بالجزائر فانتشرت بين جماهير شعبها وتغلغلت في قلب كل رجل وامرأة وسرت في نفوس الجزائريين وفي دمائهم، وانطلقت نيرانها تقطر إصرارا في إرادة الجزائريين وتحمل الفناء لأعدائهم:

فَإذا بالثّورة الكُبرَى وَقَد عَمَّتِ الشَّعبَ رجَالاً ونِسَاءا

ومَشَتْ فِي كُلِّ روحٍ ودمٍ لهبها يَقطُرُ عَزمـــاً وفَنَاءا»[2]

فهذه الشمولية استطاعت أن تعيد مجد الشعب والأمة.

– التنويع في الموضوعات: إن الشعر الثوري باعتباره شعراً ولد من رحم الثورة، فكانت الثورة بالضرورة هي محور الشعر، وهذا ما جعلنا نفهم أن الثورة كانت لها السيطرة والاستحواذ على صلب القصائد، فهذه الثورة: «جمعت بين الحديث عن قوة الثورة، وبطولات الثوار وأمجاد جيش التحرير، وما خاضه من معارك عديدة وتشجيع الجزائريين على إثبات كيانهم بنيل الانتصار، كما سجّلت أسماء بارزة في سماء الثورة أمثال "مفدي زكريا"»[3]، يقول:

---

[1]– سليمان العيسى: الأعمال الشعرية 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1990م، ص 439.

[2]– عثمان سعدي: الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، القسم الأوّل، الدار الوطنية للتوزيع والإعلان، بغداد ،العراق، د ط، 1981م، ص 45.

[3]– حبيب دحو نعيمة: شعرية الخطاب الثوري عند أبو القاسم خمّار، مجلة كتابات ثورية، ص 63.

«أدخلونا السجون جرعونا المنون

ليس فينا خــؤون ينثني أو يهون

أجلدوا... عذبوا....

واشنقوا... وصلبوا....

واحرقوا ... واخربوا...

نحن لا نرهب!! ...»[1]

من خلال الأبيات هنا دعوة صريحة إلى التأهب وتسلق الهمم من أجل دحض دعايات الثورة وتفجيرها، من خلال السعي إلى إطلاق العنان والتصدّي لكل هجوم يمسّ الأرض.

وفي موقف آخر يدعو الشعراء إلى تجسيد مبادئ الثورة في موقف ثوري مبرزين في ذلك ما جاءت به قرائحهم "فتبينوا لماذا الثورة؟، فهي في سبيل الحرية»[2]، عند "محمد الأخضر السائحي" يقول:

«أنا حرّ وهذه الأرض أرضي سوف أفدي حياتها بحياتي

سوف أبني أمجادها وأروي بدمائي مروجها النضرات»[3]

فكان التعبير عن الثورة وسرد أحداثها محور الحديث كما أسلفنا الذكر، فالثورة هزّت أحاسيس الشعراء دون استثناء، فراحوا يجودون بمختلف الأشعار مدافعين عن الثورة متقمصين الدور البطولي، فهذا الشاعر "أبو يقظان" في قصيدته الموسومة بـ "مدارج الخلاص والتحذير" يقول فيها:

ابن صرح المجد عن أسّ الضحايا وأشد عرش العلى رغم البلايا

خض غمار الهــــول غوصــــا إنّما لؤلؤ التيجان في بحر المنايا

إنّ في المـــــوت لطـــلاب العلا لـــحياة إلا حيا أهل الدّنايا»[4]

---

[1]– مفدي زكريا: اللّهب المقدس، ص 73.

[2]– محمد الصالح خرفي: أبو القاسم خمار بين ثورة الشعر وشعر الثورة _دراسة نقدية_، ص ص 11، 12.

[3]– محمد الأخضر السائحي: همسات وصرخات، المطبوعات الوطنية الجزائرية للطباعة والنشر، الجزائر، ط1، كانون الأول (ديسمبر) 1965م، ص 17.

[4]– عباس بن يحي: قضايا الأدب الجزائري، دون دار نشر، د ب، د ط، د س، ص 02.

فهنا دعوة صريحة للتضحية بأسلوب الترغيب لتحقيق الحرية، وذلك باعتبار الثورة «عمل يهدف إلى تغيير وضع سيء إلى وضع أحسن»[1]، ومن ثمة أصبح الشعر رسالة سامية يتنزلها الشاعر من عالم الروح ليؤديها بين الناس كما يقول جبران[2]، خاصة عند حسن انتقاء الألفاظ وتدبير المعاني.

ومن أهم الموضوعات التي هزّت أحاسيس الشاعر الثوري فجعلته ينظم الشعر بكل حرارة هما: القضية الجزائرية والقضية الفلسطينية، فكل قضية نالت حظّها الأوفر من الشعر الذي خصّص لأحداثها، إذ نجد الشاعر "محمد العيد آل خليفة" يشير إلى أهمية القضية الجزائرية يقول:

«ركبنا للقضية كـــل صعب نرود مـــن المراجع ما نرود
وأقسمنا بكل يمين صدق لها بسوى المطالب لا نعود»[3]

وبهذا يبقى الشعر الذي يقال في هذا المقام ما هو إلاّ همسة صريحة من إحساس ثوري يسعى لتحقيق النضال وبث روح المقاومة في الشعب، ومنح الثقة لكل المساهمين في خلق هذه القضية وإثارتها سواء بتعبير أو دعوة لها، وإيمانا في تحقيق النصر المنتظر.

ومن جهة أخرى أثارت القضية الفلسطينية العالم العربي كبيره وصغيره، كل العقول والقلوب، باعتبارها الأهم في وجدان الشعوب العربية الإسلامية، فهي ذلك الجرح الذي ما زال ينزف حتى الآن، فهذا شاعرنا "محمود درويش" في قصيدته "عاشق من فلسطين 1966" يقول:

عيونك شوكة في القلب

توجعني ...و أعبدها

وأحميها من الريح
وأغمد وراء الليل و الأوجاع...أغمدها

....

[1]– العربي الزبيري: المثقفون الجزائريون، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، د ط، 1995م، ص 19.
[2]– غالي شكري: شعرنا الحديث إلى أين؟، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ/ 1991م، ص 107.
[3]– محمد العيد آل خليفة: ديوان محمد العيد آل خليفة، ص 276.

...سأكتب جملة أغلى من الشهداء و القبّل:

"فلسطينية كانت. و لم تزل. [1]

فصدق هذه الأبيات يدلّ على مدى الأثر الذي تركته هذه القضية في نفوس الناس عامة، والشعراء خاصة الذين كانت عاطفتهم الجياشة تفيض بالصدق والبراعة في التصوير والسمو في الرؤى، هي فلسطين بحضارتها ومعاناة أهلها.

من خلال ما سبق نستنتج أن الشعر الثوري اشتمل على شكلين من الشعر هما: قالب الشعر العمودي، وقالب الشعر الحر.

– التفاؤل بالنصر: فالشاعر وهو يشيد ببطولات الثورة يرجوا النصر من البداية حتى النهاية، وما نلمسه في ذلك: «التفاؤل بالنصر والنهاية السعيدة للثورة كما قال صالح خباشة:

قُلْ للطُغْيَانِ أَلاَ أَنَّ الحُروب مَضَتْ مَهْزُومة أَبداً وَالسِلْمُ مُنْتَصِرُ

إِنَّنَا سَنَنْتَصِرْ والأَيَامُ شَهَادَة أَنَّ الشُعُوبَ عَلى الطُغْيَان تَنْتَصِرُ»[2]

فأصبح التعبير عن النصر وتحقيق الجدارة في أرض الجهاد هو هم كل مقاتل ومناضل حمل سلاح القتال للتعبير عن لواء النصر والانتصار، ومن ثمة تبقى الثورة في حاجة ماسة إلى كلمات تحفّزها وتسعى إلى تخليد انتصاراتها «فالثورة بحاجة إلى صوت يحمّس لها أكثر من حاجاتها إلى نغمة تتغنى بها»[3]

– القومية الوطنية: وبعبارة أخرى الإحساس بحب الوطن وتعدّ هذه من أهم سمات الشعر الثوري، إذ أصبح التعبير عن الوطن والتعلق به إحدى الوسائل التعبيرية التي يتفرد بها الشاعر خلال التعبير عن حسّه الثوري بشكل

---

[1]– محمود درويش: الأعمال الأولى 1، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، ط1، حزيران/ يونيو 2005م، ص ص 87- 91.

[2]– محمد الصالح خرفي: أبو القاسم خمار بين ثورة الشعر وشعر الثورة _دراسة نقدية_، ص ص 13، 14.

[3]– محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925- 1975، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2006م، ص 620.

عام «فالإنسان يرتبط بوطنه ارتباطا وثيقا، فتأثير الوطن في الإنسان أمر محتوم وعملية الارتباط والتأثير ليست بنفس المستوى عند أبناء الجنس الواحد أو الوطن»[1]

لقد اتخذ الشاعر الكلمة لتنافس المدفع والرصاص في المعركة، فكانت منافسا لا يملّ ولا يكلّ، فكان وقعها مدويا وهذا راجع إلى أنّ «الهم الوطني والقضية أكبر من أي شيء»[2]

يستحق تضحيات جسام، فالوطن هو الحياة، فهذا الشاعر "مفدي زكريا" ألّف قصائد طوال تحكي همّه القومي والوطني، عزّزها الأدباء، وحتى النقاد، لتبقى أصيلة الحفظ والتخليد، إذ جعل لهذا الوطن تسابيح نردّدها في كل حين، ففي قصيدته "فاشهدوا" والتي تعدّ النشيد الرسمي للدولة الجزائرية يقول:

قسما بالنّازلات الماحقاتْ... والدِّماء الزّاكيـــات الــدافقاتْ

والبُنودِ اللاّمعات، الخافقاتْ، في الجِبال الشّمخاتِ، الشاهقاتْ

نحن ثُرنا، فَحياةٌ أو مماتْ...

وعقدنا العزمَ: أن تحـــيا الجزائرْ[3]

فمن خلال الأبيات السالفة الذكر الشاعر يبيّن تعظيمه لهذا الوطن، فقد أعطاه قدسية الإله، فله الفضل، وبصفتنا أبناءه وجب علينا التضحية بالنفس والنفيس في سبيل بنائه وتخليد مآثره.

– الإشادة ببطولات الثوار وتمجيدها: لا يمكننا أن نغفل في حديثنا عن الثورة ومجرياتها، مساهمة أبنائها من الثوار من أجل دحض دعايات الاستعمار الغاشم، فقد جرت أسماء عديدة للثوار على أفواه الشعراء، شعراء الثورة خاصة، إذ لم يقتصر الحديث عن الرجال فقط؛ بل تعدى إلى مختلف الفئات الاجتماعية.

لقد كانت الصورة التي رسمها الشعراء للمجاهدين والثوار خاصة معبّرة صادقة، فهذا الشاعر "سليمان العيسى" الذي قدّم ما في جعبته في سبيل مساندة الثورة الجزائرية فالقصيدة «التي نودّ الحديث عنها هي القصيدة

---

[1]– ناصر صبار: مصطفى بن براهيم شاعر الحنين إلى الوطن، دار الغرب للنشر والتوزيع، د ب، د ط، 2002م، ص 30.

[2]– غالي شكري: الأدب المقاومة، ص 14.

[3]– مفدي زكريا: اللّهب المقدس، ص 61.

التي توثّق لاستشهاد البطل زيغود يوسف أحد أبرز رجالات حرب التحرير في منطقة الشرق الجزائري وواحد من جماعة 22 التاريخية (...) والواثقين بالنصر المبين، حيث انتهت المعركة باستشهاد البطل ومجموعة من رفاقه»[1]، فكانت هذه فرصة الشاعر ليفصح عن خلجات النفس فأنشد يقول في قصيدته الموسومة بـ "على ضريح شهيد":

لَبَّيْتَ صارِخَةَ العُلى

ومَهَرْتَ ساحَ المجدِ روحَكْ

إنْ تَحْميَ بَعْدَكَ أُمَّةٌ

فلِأنَّها سُعِيَتْ جُـــــروحكْ

أُتْرُكْ لظَلكَ يَهُـزّنَا

وَاخْلَعَ عَلَى الدُّنْيَا طُمُوحَكَ

حَسْبُ البُطُولةَ أنَّهَا

كانت بِمَصْرَعِهَـــا ضَرِيحُكَ[2]

فرغم الظلم وتعدّد وسائل التعذيب، إلا أن النصر يبقى أمل كل محارب ومقاتل.

أما بالنسبة لساحات المعركة وأماكن البطولة، كان لها الحظ من الوصف والتمجيد من قبل الشعراء، "فسليمان العيسى" "له عدّة قصائد تمجّد أماكن بعينها في الجزائر لاسيما تغنيه بالأوراس التي تظل شاهدة على معقل الثوار والمجاهدين»[3]

يقول الشاعر واصفا الأوراس:

تتحداهُمُ صخورك يا أوراس

أن يـــــوقفوا زئيرَ القضاءِ

---

[1]– بن يطو عبد الرحمن: محاضرات في قضايا الشعر الحديث والمعاصر، جامعة المسيلة ،الجزائر، 2015م، 2016م، ص ص 20، 21.

[2]– سليمان العيسى: الأعمال الشعرية 1، ص 83.

[3]– إيمان فاطمة الزهراء بلقاسم: حضور الثورة الجزائرية في الشعر السوري سليمان العيسى نموذجا، الملتقى الوطني حول الجزائر وثورتها التحريرية، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر https:// mamifest-unive-ourgla.dz: 6mars 2013.

موجةٌ .. تحملُ العروبة فيها

من جديدٍ مقَدّساتِ السماءِ[1]

كان هذا موقف سليمان العيسى، فهو صورة واضحة تعبّر عن مؤازرة الشعب السوري للقضية الجزائرية بشكل عام.

– مشاركة ونضال المرأة الجزائرية: وحتى المرأة الجزائرية كان صوتها حاضرا ومدويا، إذ أنّها ضمدت الجراح ودعت إلى تحرير البلاد من العدوان الغاشم، فهي مثال في الشجاعة، وقفت إلى جانب الرجل لتدافع عن وطنها، فكافحت بالروح والنفس في سبيل رفع راية الجزائر وتخليدا لألوان العلم الوطني المرفوعة، ف "جميلة بوحيرد" إحدى الأصوات العربية التي كان لها تأثير في مجريات الثورة، وموضوعها خصبا ألهم قرائح الشعراء بفضل الدور الذي لعبته سواء تضحية منها أو حتى رفع حماس المجاهدين بالكلمة الطيبة.

ف «جميلة بوحيرد مناضلة جزائرية من الزمن الجميل، زمن الثورة والثوار (...) ففي سبيل مقاومة الاستعمار تركت (...) كافة هموم وأحلام فتيات جيلها (...) ووضعت أنوثتها في قوالب ثلجية»[2]

بطلة اختارت الصمود والمقاومة طريقا لها، فأبدت قدرا عظيما من الشجاعة، تغنى بها الشعراء وخاصة "نزار قباني" فأصبحت رمزا مهما في الثورة الجزائرية يقول فيها:

الإسم: جميلةُ بوحَيرَدْ
رقمُ الزنزانةِ: تِسعُونا
في السجن الحربيَّ بوَهران
والعمرُ اثنانِ وعشرُونا
وامْرَأةٌ في ضَوْءِ الصُبْحِ
تَسْتَرجِعُ في مثل البوحِ»[3]

ومع هذا الاسم البطولي تبقى جميلة ومثيلاتها أسطورة في تاريخ الجزائر.

---

[1]– سليمان العيسى: الأعمال الشعرية 1، مرجع سابق، ص 444.

[2]– المناضلة الجزائرية جميلة بوحيرد: مجلة إفريقيا قارتنا، دون دار نشر، د ب، ع11، 2014م، ص 01.

[3]– نزار قباني: الأعمال الشعرية الكاملة، منشورات نزار قباني، بيروت، لبنان، د ط، د س، ج1، ص 449.

– الدعوة إلى مواجهة العدو ودحض دعاياته: لقد اعتمد الشعراء الثوريون أسلوبا واحداً خلال كتابتهم عن الثورة وأحداثها، فكان أسلوب مباشر، صادق وصريحا يبين على العلاقة الوطيدة بين الشعب وأرضه، فكانت المباشرة ولغة التحدّي هي الأنسب لمخاطبة العدو فالشاعر "مفدي زكريا" يقول مخاطبا "فرنسا" في قصيدته "الذبيح الصاعد":

يا فرنسا أمطري حديداً ونارا

واملئي الأرض والسماء جنودا

واضرميها عرْض البلاد شعالي

لَ، فتغدو لها الضعاف وقودا

سوف لا يعدَمُ الهلال صلاحَ الد

ين، فاستصرِخي الصليب الحقودا

واجعلي "بربروس" مثوى الضحايا

إن في بربروس مجداً تليدا!! »[1]

على وقع هذه الأبيات، الشاعر يوجه خطابه لفرنسا منذّدا بعواقب جرائمها الشنيعة، فمهما فعلت فالجزائر صامدة، فمكمن الحرية وسرّ الوجود، هي أنت يا جزائر، وبهذا كانت مساهمة الشاعر ثورية إيجابية لأن القضية هي قضية وطن.

[1]– مفدي وكريا: اللّهب المقدس، ص 23.

المبحث الثاني: الحنين في الشعر العربي الحديث:

أولا: تعريف شعر الحنين

الحنين هو ذلك الإحساس الذي يتملّك الإنسان جرّاء فقدانه أو شوقه لشيء ما وهي صفة من الصّفات التي أودعها الله في الإنسان مثل بقية الصّفات الأخرى كالتّسامح، العدل، التعاون، ...الخ، والحنين ناتج جرّاء الإحساس بالغربة والمنفى وفقدان تلك اللّحظات التي عاشها الإنسان في الماضي، فهي لحظات لا تنسى لاسيما إذا كانت لها وقع وأثر على نفسية الإنسان، وحتى تتجسّد هذه الصّفة لدى الإنسان يشترط في ذلك فقدان شيء ثمين وعزيز على القلب والنّفس، وبالتالي يصبح هناك شوق وحنين، فأساس الحنين هو الفقدان.

إنّ الناس يتفاوتون في القدرة على التّعبير عن شوقهم وحنينهم وفي القدرة على إيصالها إلى الآخرين وملامسة مشاعرهم أيضا بصورة بسيطة ومفهومة وواضحة، وأكبر دليل على ذلك شعراء المهجر الذين كانت ظروفهم أقوى منهم، ما دفع بهم إلى الهجرة خارج أوطانهم فتجرّعوا مرارة الفراق ولوعته، وقد كانت كتاباتهم تعبير صادق عما كان يدور بداخلهم.

إنّ شعر الحنين كان مرآة عاكسة ومصورة لما كان يشعر به الشعراء وما كان يخالجهم من أحاسيس ويقول "عمر بوقرورة" أنّ الحنين «...إحساس وشوق ولولاها لقعد الإنسان عن آماله ونكص على نفسه، ولولاها لما وجدنا مهاجرا صابرا، أو منعزلا متعفّفا»[1]

فشعر الحنين هو المتنفس للشعراء الذين يعانون الغربة والمنفى ويشتاقون إلى أوطانهم وأهلهم، فهو يسمح لهم بالتّعبير عما تضيق به صدورهم وخلجات نفوسهم، وقد كان هناك حضور للحنين منذ زمن بعيد، فهو متعلق بالإنسان ومرتبط به فهو «... باب قديم في الشعر العربي وقد ضرب فيه الشعر بسهم وافر لأنّه يعبّر عن عاطفة إنسانية صادقة»[2]

[1]– عمر بوقرورة: الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث 1945– 1962، منشورات جامعة باتنة، الجزائر، د ط، 1997م، ص 18.

[2]– محمد أحمد دقالي: الحنين في الشعر الأندلسي (القرن السابع الهجري)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2008م ص 11.

حظي شعر الحنين بأهمية كبيرة عند الدّارسين والشعراء على حدّ السواء، فأغلب الشعراء لا تخلوا قصائدهم من عاطفة الحنين والشوق فشعر الحنين: «... يمتاز بصدق العاطفة وحرارة الانفعال، وازدهر هذا اللّون من الشعر بصفة خاصة في القرن السابع الهجري»[1]

فهذا النوع من الشعر له أسسه التي يرتكز عليها وهي دعامته الأساسية من صدق العاطفة وحرارة الانفعال، وعلى الرّغم من أنّ ظهور شعر الحنين كان منذ فترة زمنية طويلة، إلاّ أنه حافظ على مقوماته حتى عصرنا الحالي؛ وبالتالي فهو: «...الشعر الصّادق الذي يعبّر عن تجارب قاسية عاشها الشعراء وصوّروها في أشعارهم»[2]

ويعرّف كذلك بأنّه: «.... لون من الشعر يتّسم بالصدق والتّوهج والحرارة»[3]

كما أورد "محمد أحمد دقالي" في كتابه: الحنين في الشعر الأندلسي تعريفا آخر لشعر الحنين: «صادر عن تجربة شعورية صادقة بيّنت مدى صدق العاطفة والشعور بالانتماء والوطنية»[4]

إن شعر الحنين هو ذلك الشعر الذي يجمل من صدق العاطفة وحرارة لانفعال البنى الأساسية التي يرتكز عليها، وهو منبثق عن إحساسات شعورية ذاتية صادقة سواء كانت قاسية أو جميلة مرّ بها الشاعر أو عاشها في حياته، وهذا الشعر صورة مجسّدة للتجارب التي عاشها الشاعر في مختلف مراحل حياته.

وقد ورد تعريف لهذا النوع من الشعر: «من الموضوعات التي طرقها الشعراء قديما وحديثا، وتمتاز بالعاطفة الصادقة والأحاسيس الحزينة المتأججة، فهو تجربة شعورية خاضها الشاعر»[5]

ربما يمكن القول أنّ شعر الحنين على غرار بقية أنواع الشعر الأخرى لا يقال في زمن معين، فهو إن صحّ القول صالح لكل زمان ومكان إذ تجاوز الحدود الزمكانية، ذلك أنّ الحنين عاطفة تكمن في جوهر الإنسان، وما دام هناك وجود للإنسانية والبشرية، فهناك شوق وحنين بالضرورة.

---

[1]- محمد أحمد دقالي: الحنين في الشعر الأندلسي (القرن السابع الهجري، مرجع سابق، ص 13.

[2]- المرجع نفسه، ص 13.

[3]- المرجع نفسه، ص 14.

[4]- المرجع نفسه، ص 16.

[5]- مها روحي إبراهيم الخليلي: الحنين والغربة في الشعر الأندلسي_ عصر سيادة غرناطة- 635- 897هجرية، قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2007م، ص 18.

ويبقى شعر الحنين على الرّغم من اختلاف الأزمنة شعرا نابعا من عاطفة إنسانية صادقة جرّاء لوعة وحرقة الفراق والبعد الذي يشعر به النّاس وخصوصا الشعراء منهم.

ثانيا: أسباب ذيوع شعر الحنين:

لقد كان للعرب أحقية السبق في شعر الحنين عموما، والمشارقة خصوصا، فكان هناك تماثلاً في هذا الشكل الشعري من ناحية الشكل والمضمون، ومن ثمة كان هذا الشعر وليد الغربة «(...) فكلما شعر الإنسان بالغربة تبدأ بوادر الحنين والشوق بالظهور بكل وضوح فمثل هذه الظواهر يكون لها الأثر في مجرى حياة الإنسان»[1]

فيبقى الحنين شعوراً صادقاً يراود المغترب خاصة، إذ هو عاطفة نبيلة تصدر عن ذات تعاني ألم الشوق والفراق في نفسه.

وهذا الشعور يختلف بالضرورة من شاعر لآخر، فلابد لنا أن نشير إلى أسباب ذيوع شعر الحنين في الشعر العربي الحديث ولعلّ أوّل هذه الأسباب هو:

– التهجير عن أرض الوطن والشعور بالغربة: لقد وجد الشاعر في العصر الحديث خاصة الخيال الطلق للتعبير بوضوح عن مختلف مثيرات العصر، فهو لا يستطيع أن يستغني عنه لأنّه بواسطته يتعامل مع مختلف الموضوعات، إذ أخذ يصف تجاربه الفردية وأحوال ما يعانيه، فكانت الظروف في بعض الأحيان تفرض عليه ما يقول: فكانت قاسية أحيانا وهذا دفع ببعض الشعراء إلى الهجرة والغربة عن الوطن.[2]

ومن أهم الأسباب التي أدّت إلى الهجرة كحل اختياري أو اضطراري نذكر: الهروب من الحكم الظالم في الوطن، انتشار الفقر وضيق الحال، فكان معظم المهاجرين مثقفين (أدباء وشعراء)، لم يرضوا بالظلم في وطنهم، فراحوا يتطلعون لغد زاهر مليء بالحرية والمساواة، فهذا الباحث "عيسى الناعوري" يفتتح كتابه "أدب المهجر" بالإشارة إلى دوافع الهجرة يقول: «منذ أوائل القرن 19 شرعت تنزح إلى بلاد كولومبوس جماعات من أبناء البلاد العربية لاسيما لبنان وسوريا، بعضها هرب من جور الأتراك وبعضها انتجاعا للرزق، البعض الثالث للسببين معا، وبين تلك الجماعات المهاجرة كانت طائفة من الشباب الذين كانت تتوقد جوانحهم قلوب متوثبة للحرية وفي

[1]– ناصر صبار: مصطفى بن براهيم شاعر الحنين إلى الوطن، ص 32.

[2]– ينظر: جابر عصفور: الخيال، الأسلوب ،الحداثة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2005م، ص 10.

رؤوسهم آفاق رحاب من الفكر النير والخيال الخصيب، أولئك كانوا من الرعيل المثقف الواعي، الذي عزّ عليه أن يعيش أسيرا للظلم والعوز، فانطلق يبحث عن الحرية والاكتفاء»[1]

فرغم تعدّد الأسباب إلاّ أنه يمكننا الإقرار: بأنّ هذا النوع من الأدب نشأ على أرض أخرى ونشط تحت مسمّى واحد ألا وهو: أدب المهجر أو الأدب المهاجر.

فلابدّ الإشارة إلى تعريف موجز لهذه الحركة الأدبية، فقد عرّفه الدكتور "خفاجة" رحمه الله بقوله: «والأدب المهجري أدب ثقافي ناضج تقدمي كامل التفاعل مع الحضارة الأمريكية، وهو أدب مشغول بالحياة (...) وجدانيا وفكريا بصورة إيجابية، وبمثله أدب ميخائيل نعيمة، وعبد المسيح حداد، ولقد عرف أدباء المهجر كيف يستوعبون الروح الأمريكي بجميع خصائصه البديعة (...) من تحرر في الصياغة وتنوع في الموضوع ومن انطلاق فكري»[2]

فكان هذا الاحتكاك مثمرا، حيث أثّر في الشعر العربي شكلاً ومضمونا، فكانت مختلف الإبداعات الشعرية تصبّ ضمن مبنى ومعنى واحد.

لقد نشط هذا الأدب في حلقتين «إذ أن المهجريين آمنوا بأنه لابدّ من روابط تجمع شملهم وعنها تصدر أعمالهم الإبداعية فكوّنوا الروابط الأدبية وأشهرها رابطتان:

(أ)– الرابطة القلمية في الشمال، (ب) العصبة الأندلسية في الجنوب»[3]

فكانت هاتين الرابطتين خير ممثل لهذا الأدب.

بفضل هذه الحركة الأدبية اكتسب الشعر قيما جديدة زادته صلابة ومعنى، إذ أصبح يلخص التوجهات الإنسانية والأخوية التي نشأت بين الشعراء المهجريين، وسنستحضر في حديثنا أهم القيم الشعرية التي اكتسبها الشعر خاصة، مستدلين في ذلك بنماذج لشعراء كانوا مخلصين حقا لوطنهم، ومن هذه القيم نذكر: الحنين إلى الوطن، الحرية، حب الطبيعة، الغربة، النزعة الإنسانية وغيرها.

---

[1]– عيسى الناعوري: أدب المهجر، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، 1977م، ص 17.

[2]– قيصر مصطفى: في الأدب المعاصر محاضرات في تاريخ الأدب العربي ونقده، دار الأشرف للتجارة والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2016م، ص 103.

[3]– صابر عبد الدايم: أدب المهجر، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1993م، ص ص 18، 19.

– **الحنين إلى الوطن:** وهو «من سمات الشعر المهجري الحنين والإحساس بالغربة في صورة مؤثرة بلغت مدارها في التأثير»[1]

حيث يبدي الشعراء حنينهم إلى وطنهم وذلك من خلال ذكر مآثره ومحاولة جعله في أعلى الدرجات، فالشاعر "إيليا أبو ماضي" يقول:

«**لُبنانُ أَرضٌ كَكُلِّ أَرضٍ وَناسُهُ وَالوَرى سَواء**

وَفيهِ بُؤسي وَفيهِ نُعمى وَأَردِياءٌ وَأَتقِياء

فَأَيُّ شَيءٍ تَشتاقُ فيهِ؟ فَقُلتُ ما سَرَّني وَساء

فَأَشرَفَ اللَهُ مِن عُلاهُ يَشهَدُ "لُبنانَ" في المَساء

فَقالَ: ما أَنتَ ذو جُنونٍ وَإِنَّما أَنتَ ذو وَفاء

فَإِنَّ لُبنانَ لَيسَ طَوداً، وَلا بِلاداً، لَكِن سَماء !»[2]

لقد جعل الشاعر من الوطن وهو بعيد عنه مكان مقدس يأمل زيارته والعودة إليه يوما ما، فهو السماء التي تعلو رؤوسنا دوما شامخة ثابتة، فهذه الأبيات تكشف عن عاطفة صادقة محمّلة بأثقال وقساوة الغربة.

– **اللجوء إلى الطبيعة:** لقد كانت الطبيعة بالنسبة للشاعر المهجري خير أنيس له في غربته الموحشة، فراح يصبّ مشاعره عليها باعتبارها الملجأ الأخير له، فهذا الشاعر "ميخائيل نعيمة" أحد رواد الأدب المهجري يتغنى بالطبيعة في مؤلفه "همس الجفون" في قصيدته الموسومة بـ "النهر المتجمد" يقول:

يا نهرُ هل نضبتْ مياهُكَ فانقطعتَ عن الخَريرِ ؟

أم قد هَرِمْتَ وخار عزمُكَ فانثنيتَ عن المَسِيرِ ؟
بالأمسِ كُنْتَ مرنماً بَيْنَ الحدائقِ والزُهُورِ

---

[1]– عبد الرحمن عبد الحميد علي: النص الأدبي في العصر الحديث بين الحداثة والتقليد، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، د ط، 1426هـ/ 2005م، ص 103.

[2]– إيليا أبو ماضي: ديوان أيليا أبو ماضي، دار العودة، بيروت، لبنان، د ط، 2004م، ص 105.

تتلو على الدنيا وما فيها أحاديثَ الدُّهُورَ»[1]

فالطبيعة وسحرها لها أثرها الخاص على الشاعر المهجري، حيث جعلت مشاعره موجهة خصيصا لها.

– الحرية: لقد أكسبها شعراء المهجر معاني خاصة، فتغنّوا بها في كل حين واعتبروها رمزا نيّراً يعبّر عن مآسيهم في الضفة الأخرى، فهذا الشاعر "إيليا أبو ماضي" يقول فيها:

«حُرٌّ وَمَذهَبُ كُلِّ حُرٍّ مَذهَبي ما كُنتُ بِالغاوي وَلا المُتَعَصِّبِ

إِنّي لَأَغضَبُ لِلكَريمِ يَنوشُهُ مَن دونَهُ وَأَلومُ مَن لَم يَغضَبِ»[2]

فالحرية هنا تشمل مختلف مجالات الحياة لاسيما الجانب الإنساني منها.

يعدّ الهدف الأسمى لدى شعراء المهجر نشر معاني الإنسانية من خلال الدعوة لبث المبادئ السامية وبلوغ المثل العليا مبتعدين في ذلك عن الظلم الذي يخلق العداوة بين الإنسان وأخيه، لأنهم اكتفوا من مختلف الممارسات التي تصور عن الأنظمة الفاسدة، فرغم ذلك عايشوا ويلات المعاناة والظلم، التي بعث فيهم خلقا جديدا وشعوراً صادقاً، وبذلك كانت النزعة الإنسانية وسيماتها الأكثر سلطة على القصيدة الشعرية في المهجر، فهذا "نسيب عريضة" يقول مخاطبا أخاه:

«يا أخي يا أخي المَصاعبُ شَتَّى غيرَ أنَّا في سيرِنا غيرُ واحِد

فلنسِر فلنسِـــر وإمَّا هَلَكـــــنا قبل إدراكِنا المُنى والمَواعد»[3]

تحيل هذه الأبيات إلى أن الإنسان الواحد يعطي صورة ودوراً مهمّا من خلال علاقته بأخيه، هذه العلاقة التي تتوطّد بالمعاملات.

– الغربة وتأثيرها: تعتبر الغربة موضوعا من مواضيع الشعر، إذ أنّها لصيقة به منذ القدم، لأنّ حياة الإنسان كانت تعتمد على الحلّ والترحال، فكان الشعر الجنس الأدبي الأكثر تناسبا، فهذه الظاهرة «(...) في الشعر لا تتولد من

---

(1)– ميخائيل نعيمة: همس الجفون، نوفل، بيروت، لبنان، ط6، 2004م، ص 08.

(2)– إيليا أبو ماضي: ديوان أيليا أبو ماضي، مرجع سابق، ص 120.

(3)– سلمى الخضراء الجيوسي: الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، تر: عبد الواحد لؤلؤة، دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، مايو 2001م، ص ص 184، 185.

الجزئيات والتفاصيل وإن كانت تسهم في بلورتها، بل تتولّد من علاقة التأزم القائمة بين الشاعر والكون المحيط به، فهي ترتبط دوما (...) بالحزن وتبعث في بعض الأحيان إلى التذمر والإحباط»[1]

وهي في ذلك حالة شعورية تؤدي إلى الانكسار والانطواء على النفس، وتعبير عن شعور الشوق إلى الأهل والذكريات الماضية بحكم أن الشعراء غادروا أوطانهم عن كره واضطرار، فكان سبيل التعبير عن مآسيهم هي الشكوى والحنين.

نستحضر في حديثنا، تأثير الغربة وأشكالها في الشعراء، فقد تجلّت "الغربة الاجتماعية"في شعر "الجواهري"، باعتبارها ظاهرة عاش معانيها، فالشاعر بصفته ذو إحساس مرهف، فهو يفوق الإنسان العادي في التعبير وحسن التصوير في قصيدته "بريد الغربة" يقول:

«**لقد أَسْرى بيَ الأجلُ وطـــولُ مسيرةٍ مَللُ**
وطول مسيرةٍ من دو نِ غايٍ ؛ مَطمعٌ خَجِلُ
أشاعَ اليأسُ بي عُمُرٌ وكنتُ وكـــلُّهُ أمــلُ
وعُمرُ المرءِ فضلُ منىً بها مـــا شَقَّ يُحتَمَلُ
فإن ولَت ؛ فـــلا ثقةٌ ولا حَوْلٌ ، ولا قِبَلُ»[2]

فهذه الأبيات تبين عن غربة الشاعر الاجتماعية، فبحكم أن المجتمع وحدة تجمع الشعب في رقعة جغرافية واحدة، وذات الشاعر دخيل عليه، هذا يدفعه إلى التحسّر والتذمّر على واقع لا يمثل واقع وطنه الأصل، وبهذا يكون اندماجه في الضفة الأخرى جزئيا، ويبقى همّه التفكير في وطنه.

أمّا "محمود درويش"، فقد اتّخذ الشعر ملاذه الأخير فهو عاش غربته النفسية التي: «(...) تأخذ ملامح وأوجه متعدّدة، فهي غربة ذاتية، يعيش الشاعر تجربته فيعبّر عنها بشعر، فقد عانى محمود درويش الغربة النفسية في

[1]– عبيدة الشبلي: شعر الغربة عن الوطن بين القديم والحديث، دراسات في الأدب والفن، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، الدوحة، قطر، د ط، 22 حزيران/ يونيو 2018م، ص 02.

[2]– الجواهري: ديوان الجواهري، دار العودة، بيروت، لبنان، ط3، 15 مارس 1986م، مج4، ص 29.

موقفه من السلطة السياسية (...) فأخذ العذاب يعتصر النفس ويعتلج الصدر ولكنّه لا يجد من يناجيه غير وحدته»[1]

وحيداً أصنع القهوة

وحيداً أشرب القهوة

فأخسر من حياتي.

أخسر النشوة

....

وحين أعود للبيتِ

أحس بوحشة البيتِ»[2]

فمختلف الأوضاع المزرية التي عايشها "محمود درويش" مع وطنه هذا جعله شخصا متمردا ثائراً في كل حين، يبحث عن الوحدة التي تؤنس روحه، فقال شعرا مبهما يتماشى مع وحدانيته.

وهذا "محمد بلقاسم خمار" عانى من الغربة يقول واصفا شعوره «... لقد تغربت بجسدي عن وطني أكثر من عشر سنوات، أما بفكري ووجداني. فلم أغب عنه ولو يوم (...) وإنّني ومنذ مطلع الاستقلال أعاني من قساوة الغربة، مرارة الاغتراب»[3]

فالمغترب مهما ابتعد عن وطنه إلاّ أن روحه ووجدانه يبقى أسير التفكير في وطنه الأصل.

– الاعتقال والإبعاد: هو أحد العوامل التي ساهمت في انتشار شعر الحنين، والاعتقال يكون مرتبطا بالسياسة والسّجن، فالأدب العربي زاخر بالنماذج الأدبية التي كان السّجن محتضنا لهم لاسيما الشعراء الذين يحاولون الدّفاع عن أوطانهم في وجه الاستعمار أمثال: مفدي زكريا، محمود درويش...الخ، "فمفدي زكريا" كانت له ذكريات لا تنسى بين أسوار السّجن، لكن ذلك لم يمنعه من الكتابة ومحاولة إيصال صوته لشعبه إلى العالم والرأي العام عبر قصائده، فهي لسان شعب اضطهد وانتزعت منه كرامته بالقوة، والسّجن في نظر الشاعر "مفدي زكريا" ملتقى الأبطال والخلود، إذ يقول ي قصيدة "نشيد بربروس"

---

[1]– عبيدة الشبلي: شعر الغربة عن الوطن بين القديم والحديث، مرجع سابق، ص ص 20، 21.

[2]– محمود درويش: الأعمال الأولى1، ص ص 39، 40.

[3]– محمد بلقاسم خمار: بين وطن الغربة وهوية الاغتراب (شعر)، دار هومه، الجزائر، د ط، 2004م، ص 09.

«يا سجن إزْخَرْ... بِجُنُودِ الكِفَاحِ

فَأَنْتَ يَا سِجْنُ ... طَرِيقُ الخُلُودِ

أنت محراب الضحايا

في حَنَايَاكَ الأُسُودُ

أَنْتَ ... أَنْتَ ... أَنْتَ ... يَا بَرْبَرُوس...

يَا مَصْنَعَ الْمَجْدِ، وَرَمْزَ الفِدَا

يَا مَهْبَطَ الْوَحْيِ، لِشِعْرِ البَقَا

يَا مَعْقِلَ الأَبْطَالِ، والشُهَدَاءِ

يَا مُنْتَدَى الأَحْرَارِ، المُلْتَقَى

أَصْبَحْتَ يَا سِجْنُ لَنَ مَعْبَدَا

عَلَيْكَ نَتْلُوا العَهْدَ والمَوْثِقَا»[1]

هذه الأبيات توضح أن السّجن مكان للأقوياء الذين يستطيعون إحداث تغير، فقد كان السّجن مكان لاجتماع الأقوياء وهو بداية لطريق الخلود، فالسجن يجمع بين جدرانه السّميكة المظلمة أبطالا وزنهم من ذهب، إضافة إلى التقاء الأطراف والفئات الواعية التي يحسب لها ألف حساب بفضل كلمتهم التي تملك وزنا ثقيلا بين الأوساط.

وهناك شاعر آخر جعل من الدفاع عن وطنه وحمل همومه وهموم شعبه غاية في نفسه، وذلك لأصالته تمسكه بوطنه وجذوره، فقد جاء شعره عموما بمثابة الدّواء لشعبه حيث أنّه خدم وطنه وشعبه، وكالإبر السّامة التي توجع المستعمر، كما أنّ السّجن كان له حضور في شعره فنجده يقول في قصيدته "برقية من السّجن":

مِنْ آخِرِ السِّجْنِ، طَارَتْ كَفُّ أَشْعَارِي

تَشُدُّ أَيْدِيكُمْ رِيحاً ... عَلَ نَارِ

أَنَا هُنَا، وَوَرَاءَ السُور، أَشْجَارِي

أَقُولُ لِلْمُحْكِمِ الأصفاد حول يدي:

[1]– مفدي زكريا: اللّهب المقدس، ص 76.

هَذِي أَسَاوِرُ أشْعَارِي وَإِصْرَارِي[1]

وكما أشرنا سابقا فقد حضي السّجن بأهمية كبيرة في ثنايا الأشعار "وجاء على ألسن المساجين منهم كثير من الشعر الرّائع في وصف السّجون، (...) ولعلّ للتأثير البالغ الذي يصدر عنه الشعراء والأدباء، وهم بين جدران سجونهم نتيجة الأحوال المرهقة الأثر الكبير في إيقاظ ملكاتهم، وشحذ قرائحهم (...) فاتسم أدب المساجين بطابع القوة"[2]

فالشعراء المساجين ورغم كلّ الظروف والأوضاع الصّعبة التي تعرضوا لها إلاّ أنّهم لم يتخلوا عن أوطانهم، فقد جعلوا من السجن مادة لأشعارهم فراحوا يصفونه، والظروف الصّعبة أحيانا تنتج عنها آثار إيجابية وهذا ما لمسناه عند شعراء السجون، فقد زادهم السّجن والتّعذيب القوة على إيقاظ ملكاتهم، كلّ تلك الظروف والأوضاع المزرية، انطبعت في أشعارهم فأصبحت تتميز بالقوة والصّرامة والطّرح.

ورغم كل الظروف السّيئة التي كانت تمرّ بها البلاد العربية في تلك الفترة، إلاّ أنّها لم تردع شعرائها عن رفع أقلامهم وتسطير كلمات وأشعاراً كانت لها بصمة كبيرة على نفسية الشعوب، وخطراً لاذعا يتربص بالطّغاة، هؤلاء الذين أدركوا أن كلمة الشعراء كلمة حق تثير الشعب وتحرضّه وتفضح مخططات العدو، وتُظهر نواياه الحقيقية، هذا ما دفع بهم إلى زج أغلب الفئات المتعلّمة والتي لديها وعي بما يجري حولها في المعتقلات والسّجون بعيدا عن أشعة الشمس والحرية، وحتى وإن كانوا بين أربعة جدران فقد وجدوا حرّيتهم في كتاباتهم التي تنبثق من صدر وقلب صادقين إزاء قضية أوطانهم.

فهؤلاء الشعراء والأدباء عندما تبنوا قضايا أوطانهم ودافعوا عنها هم أدباء وشعراء ملتزمون والالتزام هو: "ربط العمل الأدبي أو الفنّي بالحياة الاجتماعية، وتشديده على أهمية المضمون الاجتماعي والفكري والخلقي"[3]

إنّ الالتزام في مجال الأدب هو ربط الإبداعات بالعلاقات الاجتماعية، فما يعيشه المجتمع بصوّره العمل الأدبي لأنّ المبدع ينظر إلى الوسط الاجتماعي ويكون مدركا لما يجري حوله من أحداث.

---

[1]– محمود درويش: الأعمال الأولى1، ص 115.

[2]– عبد العزيز الحليفي: أدباء السجون، دار الكاتب العربي، د ب، د ط، د س، ص 11.

[3]– العرباوي هاجر: موقف الالتزام والالتزام من الأدب، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، د ط، د س، ص 06.

والالتزام يكون صادراً عن شخصية الشاعر أو المبدع: «...يكون الالتزام التزاما نابعا من الذات بدون فرض أو بدون إملاء أيّة أحكام»[1]

إنّ هموم الوطن تجعل من الشّخص يتبنى قضاياه بكل عفوية ودون ضغوط أو إجبار.

وإضافة إلى الشاعرين "مفدي زكريا" و"محمود درويش" هناك من الشعراء الذين كان السّجن وجدرانه الحاضن لهم والذي يحدّ من حريتهم، لكنّه لم يثن من عزيمتهم وارداتهم ولم يزعزع ثقتهم بأنفسهم وبقضيتهم، التي لا يمكن أن يتخلوا عنها، واعتقال وسجن الشعراء لم يكن في العصر الحديث؛ بل كان من العصور القديمة من أمثال: "الشنفرى"، "أبو العتاهية" وصولا إلى العصر الحديث والمعاصر ومن أمثلة ذلك: "محمود سامي البارودي" والشاعر العراقي "عبد الوهاب البياتي" والأديب الشاعر "صالح خرفي"، إضافة إلى "زياد توفيق"، "فدوى طوقان" عن فلسطين، و"سليمان العيسى" عن سوريا و"إيليا أبو ماضي" عن لبنان[2]، وهناك العديد من الشعراء لم يتم ذكرهم على اختلاف جنسيتهم وكلّهم جَمَعَهُم أمر واحد هو حبّهم لوطنهم.

فهذا الشاعر الليبي "علي محمد الرّقيعي" في قصيدته "الأرض" يقول:

«فَبَكَيْتُ أَرْضِي الطَّيِّبَةُ

أَرْضِي التي اغْتَصَبَ الدَّخِيلُ حُقُولَهَا

بِاسْمِ الدِّفَاعِ عَنْ السَّلامِ»[3]

فالأبيات تدلّ على الحال الذي تعرضت له أرض الشاعر، تلك الأرض التي لا تقدر بثمن وهو يبكي على شرف وطنه الذي انتهكه دخيل غير معروف من أجل مصالحه وأهدافه الخفية.

---

[1]- رجاء عيد: فلسفة الالتزام في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، منشأة المعارف، القاهرة، مصر، د ط، د س، ص 240.

[2]- سالم المعوش: شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/ 2003م، ص ص 655-682.

[3]- المرجع نفسه، ص ص 333، 334.

إنّ الشعر الصادر عن فئة الشعراء لاسيما الذين دخلوا إلى السّجن تصريح واعٍ بعدم الرّضوخ والاستسلام للعدو، فلا السّجن ولا التعذيب يحدّان من حبّ الشعب لوطنهم لأنّه الحاضر والمستقبل وفي هذا الصّدد يقول "البياتي" في قصيدته "السجن المجهول":

«عَبَرَ بَابَ السِّجْنِ، عَبْرَ الظُّلُمَاتِ
كُوخُنَا يَلْمَعُ في السّهْلِ، وَمَوْتِي، وَالنُّجُوم.
عَبْرَ بَابِ السِّجْنِ، غَنُّوا، يَا رِفَاقِي
لَمْ يَزَلْ عَالَمُنَا يَحْفِلُ بالخَيْرِ، وَبِالحُبِّ العَمِيقِ
لَمْ يَزَلْ عَالَمُنَا أَرْوَعُ مِمَّا
حَدَّثُونَا عَنْهُ، مِمَّا صَوَّرُوهُ»[1]

فالشاعر من خلال هذه الأبيات مدرك لواقعه وما يجري حوله، لكنّه غير راضٍ به ويطمح إلى واقع أفضل، واقع فيه الخير والمحبّة والسّلام.

ومهما طال الظّلم وخرّب وهدّم فلابدّ من أن يسطع شمس الحق عإيليا تنادي بأن دوام الحال من المحال، وهذه الإشراقة لها ثمن غالٍ جداً يقدّر بأرواح العديد من الأبرياء، فهذه التضحيات تساهم في صناعة المستقبل الذي يضمن لهم الكرامة والأمان والطمأنينة.

وله أيضا قصيدة بعنوان عن "الموت والثورة" يقول فيها:

وِلاَدَةٌ تَطُولُ في ضَرِيحِ

مَخَاضُ فَجْرٍ مُرْعِبٍ قَبِيحِ

يَسِيرُ فَوْقَ جُثَتِ الأَمْواتِ في الوُحُولِ.

لِيَنْثُرَ البِذَارَ في الْحُقُولِ. [2]

فرغم العذاب والتنكيلات الصّادرة بحق الشعب إلاّ أنّ هناك دائما بصيص أمل يلوح في الأفق.

[1]– عبد الوهاب البياتي: الأعمال الشعرية 1، دار الفارس للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د ط، 1995م، ص 152.
[2]– عبد الوهاب البياتي: الأعمال الشعرية 2، دار الفارس للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د ط، 1995م، ص 154.

وها هو "نور الدين درويش" يقول في إحدى قصائده المعنونة بـ "أين العروبة يا عرب":

«الله أَكْبَرُ، إنَّ الدَّهْرَ مُنْقَلِبُ

الْعَبْدُ مُنْتَهِجُ والحُرُّ مُكْتَئِبُ

نخفي الحقيقة نخشى سوط حاكمنا نُخْفِي الدُمُوعَ وَفِي أَعْمَاقِنَا عَطَبُ

حُكَـــــامُنَا أَبَدا بَاعُوا ضَـــمَائِرَهُمْ بَاعُوكَ يَا شَعْبُ بالدُولاَرِ وانْتَصَبُوا

حُبُّ الجُلُوسِ عَلَى الأَعْرَاشِ غَايَتُهُمْ اَلْكَأْسُ شَغَلَهُمُو والرَّفْضُ والطَّرَبُ»[1]

هذه الأبيات توضح لنا الجانب السياسي وما يفرضه على الشعب أو أي أحد آخر، إذا ما عارض أقوال أو قرارات الحكام، الذين جعلوا من الشعب كالنمل يداس بأقدام سلطتهم وسياستهم، تلك السياسة التي تخدم مصالحهم وتوفّر لهم المتعة والرّفاهية، ولا تعير أي اهتمام للشعب، فهذا الاستهتار وحبّ التملّك اللذان يصدران عن الحكام السبب الرئيسي للاحتلال الذي يتعرض له أي بلد، فالحكام الذين تكون أولوياتهم المنصب والرتبة لا خير فيهم وأين الخير في شخص يُقدّم وطنه على طبق من ذهب إلى غيره، فالأموال والمتاع أعمت بصيرة هؤلاء الحكام وأنستهم أن شرف الوطن من شرفهم.

إضافة إلى الشعراء الذين سبق ذكرهم نجد الشاعر "إبراهيم طوقان" والشاعرة "فدوى طوقان" قد كان لهما شعر حول الوطن والظلم فها هو "إبراهيم طوقان" يقول في قصيدته "موطني":

موطني الشبابُ لن يكلَّ همُّه أن يستقلَّ أو يبيدْ

نستقي من الرَّدى ولنْ نكونَ للعِدى كالعَبِيدْ

لا نُريدْ

ذلَّنا المؤبَّدَا وعيشَنا المنكَّدَا

لا نريدْ بل نُعيدْ

[1]– نور الدين درويش: السفر الشاق (شعر)، مطابع عمار قرفي، باتنة، الجزائر، د ط، د س، ص 15.

مجدَنا التليدْ»[1]

فهذه القصيدة تثبت أن الشعب لن يقبل بالذّل والمهانة، وأنّه لن يعيش مطأطأ الرأس لأي كان؛ بل سيصنع مجده ويسترجع كرامته وعزّة نفسه مهما طال الزمن ومهما كان الثّمن.

ونجد كذلك "فدوى طوقان" في قصيدتها "من وراء الجذران" تقول:

بنَتْهُ يد الظلم سجناً رهيبا لو أدِ البريئات أمثَالِيه

لُعنتِ؛ احجبي نور حريتي وسدي عليّ رحاب الفضاء

لكن قلبي هذا المغرد لن تطفئي فيه روح الغناء

فقلبي يد الله صاغته لحنا تدفق من عمق نبع الحياه»[2]

الشاعرة من خلال هذه الأبيات تحاول إيصال رسالة إلى الطّغاة أنه مهما بنيت السجون وقمعت الحرّيات فإنّ القلب يبقى نابضا بالحياة ولن يستطيع التعذيب والظروف القاسية من تكتم دقاته ويبقى فتيا ولن يَهْزم ويشيخ.

ثالثا: خصائص شعر الحنين:

يتميز شعر الحنين بجملة من الخصائص وهي نوعان: خصائص موضوعية وأخرى فنية.

1: الخصائص الموضوعية:

أ– المعاني والأفكار: إنّ أساس أي نص سواء كان شعرا أو نثرا هو ما يحتوي عليه من أفكار، هذه الأخيرة بنوعيها العامة والجزئية تشكّل مع بعضها البعض ما يسمّى بنص: «...النص الشعري قد يتكون من أفكار عامة

[1]– إبراهيم طوقان: الأعمال الشعرية الكاملة، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، مصر، د ط، د س، ص 293.

[2]– فدوى طوقان: الأعمال الشعرية الكاملة، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1993م، ص 88.

تتخللها عدّة أفكار جزئية صغيرة، وهذا النّص يتفاوت من حيث الكمّ، فقد يكون قصيدة، أو مقطوعة أو أبيات منفردة، وقد تدور القصيدة كاملة حول فكرة واحدة رئيسية، أو عدّة أفكار تصبّ في بوثقة الحنين»[1]

ب– الوحدة والتعدّد: أي أنّ شعر الحنين، يعالج موضوعا واحداً يدور حول الحنين عموماً وفي الوقت نفسه هناك أنواع لهذه الحنين، كالحنين إلى الأوطان وهو الشائع والحنين إلى الذكريات وغيرها من أوجه الأخرى «تنوعت موضوعات الحنين (...) فمن الحنين إلى الوطن إلى الحنين إلى الأهل، إلى الحنين إلى الذكريات الماضية»[2]

ج– العاطفة: هي أحد العناصر الأساسية التي يقوم عليها شعر الحنين، وهي أيضا إحدى مكونات الأدب، فهي وسيلة معبّرة عمّا يخالج الشاعر من عواطف وأحاسيس ومشاعر، وهذه العاطفة تختلف من شاعر إلى آخر في شدّتها، فالشاعر عندما يبدأ في سرد ما يدور في أعماق نفسه تبدأ عاطفته بالتدّفق.

إنّ الشعر على اختلاف أنواعه وتعدّد أشكاله مرتبط بالعاطفة تلك الصّفة التي يتحلى بها الشعراء ويسقطونها على أشعارهم، فالعاطفة هي الهواء الذي يتنفسّه الشاعر ليتمكن من إنتاج شعر صادق موحي ومعبّر.

وتعبّر العاطفة إحدى العناصر الأساسية المكوّنة للأدب: «والعاطفة هي لبّ الفنون وعمادها، وهي المعزف الذي تصدح به أوتار الأدب، وعليه يعزف الأديب، وهي الشرفة التي يطلّ منها على ما تنطوي عليه النّفوس من ألم وأمل، والمنفذ الذي يصل منه إلى القلوب، وهي ترجمان لما يكمن من مظاهر الحياة الطبيعية والاجتماعية، وهي التي توجه الفن إلى المثل العليا في الحياة»[3]

إنّ الشعر الذي يلامس القلوب والوجدان شعر ناتج عن صدق الشاعر وعاطفته النقية، فالعاطفة الصادقة تدلّ على: «صدق الشاعر في شعره عن إحساس صادق ألمّ به، وعصفت برأسه ومياه (...) فصدق الشعر من أقوى أسباب الإجادة الشعرية لدى الشاعر، والصّدق العاطفي وصدق الاعتقاد عند الشاعر باعث قوي على انفعال الآخرين بشعره وتأثرهم بنتاجه»[4]

---

[1]– محمد أحمد دقالي: الحنين في الشعر الأندلسي (القرن السابع الهجري)، ص 373.

[2]– المرجع نفسه، ص 408.

[3]– مها روحي إبراهيم الخليلي: الحنين والغربة في الشعر الأندلسي "عصر سيادة غرناطة"، 635– 897 هجرية، ص ص 143، 144.

[4]– المرجع نفسه، ص 144.

ويبقى الشعر يفتح المجال أمام الشعراء لتفريغ طاقاتهم وإظهار عواطفهم الصادقة والناتجة عن واقعهم وبالتالي فالشعراء يقدّمون رسالة وأخبار حقيقية دون زيف.

فالعاطفة مرتبطة بالأدب فهي تساعد على الإبداع: «وإن كانت العواطف أساسا من أسس الأدب وهي التي تجعله خالداً، وكانت العواطف لا تتغير حبّب إلينا قراءة الشعر مراراً، فنحن لا نملّ من إعادة قراءة المتنبي أو أبي العلاء، على حين أنّنا نملّ بسرعة من قراءة كتاب علمي (...) لأنّه مرتبط بالعقل لا بالعاطفة»[1]

والمقصود بصدق العاطفة: «أن تبحث عن سبب صحيح غير زائف ولا مصطنع حتى تكون عميقة تهب للأدب قيمة خالدة (...) إنّ الكلام إذ خرج من القلب وصل إلى القلب وإذا خرج من اللّسان لم يُجاوز الآذان»[2]

فالعاطفة الصادقة إحساس نابع من الأعماق تكوّنها تجارب معاشة.

2– الخصائص الفنية لشعر الحنين:

أ– الألفاظ والأساليب: تعد«... أداة لنقل التجارب الشعرية، وهي أيضا أحد عناصر الأسلوب الرئيسية (...) فالشاعر يحرص على اختيار ألفاظه وتعابيره، ويحمّلها من الدّلالات ما يريد، كما أنّ اختيار وتنسيق الشاعر لألفاظه وتراكيبه يعدّ أسلوبا من أساليبه»[3]

فالشاعر دائما ما يلجأ إلى تلك الألفاظ السّهلة الواضحة والمعبّرة البعيدة عن التعقيد والغموض، التي تساعد المتلقي على فهم النّص وتضمن له المقروئية، وكلّما كانت الألفاظ ذات تأثير قوي كلّما منحت للنّص الشهرة والتداول.

وقد عمد الشاعر في هذا النّوع من الشعر إلى استخدام أساليب كالاستفهام والتمني والنداء، ولم يكن هذا الاستخدام عشوائيا؛ بل الموقف الذي يعيشه فرضها، ولأنّ الشاعر أثناء شكواه من الحاضر وحنينه إلى الماضي

---

[1]– أحمد أمين: النقد الأدبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، د ط، 2012م، ص 30.

[2]– أحمد الشايب: أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط10، 1994م، ص ص 190، 191.

[3]– محمد أحمد دقالي: الحنين في الشعر الأندلسي (القرن السابع الهجري)، ص 435.

يستدعي أسلوب الاستفهام، أمّا التّمني فكلّه أمل في تحقيق رغبة من رغباته التي يطمح إليها والنّداء هو تلك الصّرخة والأسى الذي يمرّ بهما الشاعر.

ب– الصورة الشعرية: هي إحدى الأدوات التي يلجأ إليها الشاعر أو الأديب للتعبير عن أفكاره مستعملاً في ذلك : الوصف، الرمز...الخ.

وقد تنوعت الصّورة الشعرية وتعدّدت ولا يخلو شعر منها، فقد وظّفها الشعراء بهدف إضفاء نوع من الجمالية على شعره، وبذلك يضمن له الوصول إلى القلوب وملامسة الشاعر ــ مشاعر القراء والمتلقين ــ والمتمعن للدواوين والأشعار يجدها زاخرة بمختلف أداوت التّصوير البياني المعروفة: كالاستعارة، التشبيه، الكناية ...الخ.

والصورة الشعرية ما هي: «محصّلة تنصهر فيها مطالعات الشعراء وتجاربهم ومرجعياتهم بما يجعلها مكتنزة بالمؤشرات الدينية والثقافية (...) والإيديولوجية والنفسية وغيرها»[1]

فالصورة الشعرية هي وعاء يحتوي كلّ ما يتعلق بالشاعر من جوانب الحياة المختلفة، سواء كانت جوانب دينية، ثقافية، نفسية...الخ؛ غهو يوظّف كلّ هذه الجوانب في ثنايا أشعاره، فتصير الجوانب الموظّفة مادة لشعره لما لها من دور فعّال في إنتاجات الشعراء المختلفة، وهذا ما يضمن تعدّد مواضيع الشعر.

ج– المحسّنات البديعية: هي: «إحدى الفنون البلاغية الثلاثة: المعاني، والبيان، والبديع، وسميت (محسّنات) لتحسين اللّفظ أو المعنى بعد رعاية مقتضى الحال، ووضوح الدّلالة»[2]

فهي تساهم بشكل كبير في إضفاء الجمالية والوضوح على الكلام لفظا ومعنا، وهذه المحسنات البديعية لها شقّان: الشّق الأول: يسمّى بالمحسنات المعنوية، والشّق الثاني: هو المحسنات اللّفظية، فالأوّل يتمثل في الطباق والمقابلة ، والثاني يتمثل في الجناس، السجع، ...الخ: «السجع من طوابع الأسلوب العربي، ولكنّه ليس هو الطّابع الوحيد (...) وقد أشار إلى هذا ابن الأثير في كتابه المثل السائر: واعلم أنّ الأصل في السّجع إنّما الاعتدال عند

[1]– عبد الرزاق بلغيث: الصورة الشعرية في تجربة الشاعر عزّ الدين ميهوبي _دراسة أسلوبية_، مذكرة معدّة لنيل شهادة الماجستير، جامعة بوزريعة 2 الجزائر، 2009م، 2010م، ص 80.

[2]– محمد أحمد دقالي: الحنين في الشعر الأندلسي (القرن السابع الهجري)، مرجع سابق، ص 487.

مقاطع الكلام، والاعتدال فقط ولا عند تواطؤ الفواصل على حرف واحد؛ بل تكون الألفاظ المسجوعة حلوة حارة طنّانة رنّانة»[1]

فالسجع من الأدوات الأدبية التي تجعل من الكلام ذا جرس موسيقي عذب تستسيغه أذن السّامع وتميل إليه النّفس البشرية.

د– الموسيقى: إحدى الرّكائز المهمة التي يقوم عليها الشعر، وبدونها يتحول هذا الجنس الأدبي إلى جنس آخر لا يمت له بصلة، فالموسيقى إنْ صحّ القول هي التي تضمن للشعر سهولة الحفظ، فهي عنصر فعّال في بناء النّص الشعري، وهي «النّغم المتماوج في النّص»[2]

والمقصود بالموسيقى تلك الألفاظ والعبارات المنسجمة والأوزان والقوافي، فالأولى: موسيقى داخلية والثانية موسيقى خارجية: «فموسيقى شعر الحنين (...) لا تخرج عن قسمين اثنين، فالأوّل ما هو ظاهر، ويتمثل الوزن، وما يستخدمه الشاعر من بحور شعرية (...) والقافية وما فيها من تنوع في استخدام المطلق منها والمقيّد، والنّوع الثاني خفي يشعر به المتلقي من خلال انسجام بعض الألفاظ والعبارات»[3]

فالشاعر يختار الألفاظ والعبارات المناسبة لذلك المقام، وكذلك يستخدم بصورة شعرية مناسبة مع القافية والبحور الشّعرية عناصر أساسية تساهم في تكوين موسيقى الشعر ، ولا يخلوا شعر منها وإن نقص عنصر واحد فقط.

فسيخرج هذا النوع والإبداع من دائرة الشعر إلى نوع آخر: «...موسيقى الشعر ليست تطريبا فحسب؛ بل هي وسيلة من وسائل التّعبير والإيحاء لا تقل أهمية عن التعبير اللّفظي؛ بل لعلّها تفوقه ذلك لأنّ موسيقى الشعر هي التي تخلق الجو، وهي التي توحي بالظّلال الفكرية والعاطفية بكل معنى»[4]

فموسيقى الشعر هي التي تضمن له المقروئية إلى جانب أمور أخرى، وضعف موسيقاه يؤدي إلى ضعف الشعر.

---

[1]– أنور الجندي: خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط2، 1985م، ص 184.

[2]– محمد أحمد دقالي: الحنين في الشعر الأندلسي (القرن السابع الهجري)، مرجع سابق، ص 517.

[3]– المرجع نفسه ص 518.

[4]– عثمان موافي: دراسات النقد العربي، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، مصر، د ط، 2000م، ص 126.

الفصل الثاني

تجليات الثورة والحنين في الأعمال الكاملة لابن الشاطئ

المبحث الأول: تجليات الثورة في الأعمال الكاملة لابن الشاطئ

أولا: المعجم الدّلالي للثورة

ثانيا: متفرقات من الثورات

ثالثا: ثورة الإبداع

المبحث الثاني: تجليات الحنين في الأعمال الكاملة لابن الشاطئ

أولا: الحنين إلى الوطن

ثانيا: الحنين إلى المرأة

ثالثا: الحنين إلى الأهل

رابعا: الحنين إلى الذكريات الماضية

المبحث الأول: تجليات الثورة في الأعمال الكاملة لابن الشاطئ

يعتبر "ابن الشاطئ" واحداً من شعراء الثورة الفلسطينية المعاصرين، الذي عبّر عن همومها بمختلف تجلّياتها ومختلف مراحلها، فقد مثّل شعر الثورة والحنين في الشعر الفلسطيني على وجه الخصوص، لهذا سنحاول من خلال هذه الدراسة إبراز مظاهر الثورة والحنين في شعره، ومن ثمة ستكون إشارتنا الأولى إلى تجلّيات الثورة بمختلف أشكالها في شعره.

أولا: المعجم الدّلالي للثورة:

لقد تميّز المعجم الشعري لدى "ابن الشاطئ" بالتوسع وهذا يدلّ على أنّ الشاعر خضع لحالات شعورية مختلفة، وهو ينقل لنا تجربته الشعورية اتجاه قضية وطنه التي خلقتها ظروف الحياة. فكان لكل موقف مرّ به في حياته أثره الخاص، لهذا كان وقوفنا على المعجم الشعري "لابن الشاطئ"استلهام أهم الدّلالات التي تبين عن موقفه اتجاه وطنه وقد استلزم ذلك تحديد أهم الحقول الدّلالية التي وظّفها في بنية خطابه الشعري، حاملا فيها همّه الثوري والوطني ومن هذه الحقول:

1- معجم الألفاظ الدّالة على الثورة:

لقد كان التعبير عن الثورة بمختلف أبعادها همّ لشاعر وهذا لكون وطنه يعاني ويلات الاستعمار. فالمتأمل لشعر "ابن الشاطئ" أكثر من استخدام الألفاظ الدّالة على الثورة وهذا يدلّ على ارتباطه الشديد بوطنه، ومن هذه الألفاظ التي تصب ضمن حقل دلالي واحد ـ الثورة ـ في شعره "النضال، الهجوم، الكفاح، الحصار، القمع، الفداء، الصّمود، الشهادة، الدم، الرّفض، التضحية والجهاد".

– النضال: وهو الدّفاع عن قضايا الوطن العادلة قولاً وفعلاً من أجل حرّية البلاد واستقلالها.

يقول:

«وَأَثَارُوا زَوَابِعَ القَوْلِ وَالفِعْـ ـلِ ... وَسَارُوا لِلْخَلْفِ بِاسْمِ الأَمَامِ

وَاعْتَلُوا قِمَةَ النِضَالِ بِخَتْمٍ مَلَـــكِيٍ .. وَشَوَّهُـــوا أَنْغَامِي»[1]

[1]– ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج1، دار الأوطان للطباعة والنشر، الجزائر، ط1، 2009م، ص 47.

إن الشاعر في هذين البيتين يصوّر لنا الحال الذي ستؤول إليه البلاد بفضل أصحاب النّفوذ والسلطة من خلال أقوالهم وأفعالهم الفارغة التي تنتج عنها ضجّة جرّاء الوعود الزّائفة كلّ ذلك باسم التحضّر والتّطور في حين أنّهم يزدادون تخلفا وبدائية، فالشاعر ساخط على مثل هكذا أشخاص همّهم نشر الفوضى والخراب وله نظرة ورؤية بعيدة المدى واعية بما يدور في البلاد.

يقول:

«لَقَدْ صَدَقُوا وَالله .. فَالمَرْأةُ الضُحَى عَلَى شَفَةِ اَلْفَيْرُوزِ دَوْماً مَنَازِلُ

وَإِنَّ نِضَالَ الحُرِّ لاَ يَعْـــــرِفُ الأَنَا وَيَرْفُضُ أَنْ تَنْعَاهُ تِلْكَ الشَّمَائِلُ.. !! »[1]

فالشخص الغيور على وطنه شخص نضاله لا يكون لذاته أو خدمة لنفسه؛ بل خدمة لوطنه ولأجله من أجل ضمان حرّيته واستقلاله وكرامته، وقضية الوطن والنّضال قضية حساسة لا تقبل أيّ مجاملات لما لها من أهميّة كبيرة وقدسية في نفوس الشّعب.

يقول:

«إِنَّ حَدَّ الجِرَاحِ يَسْتَوْقِفُ الدَّهْ ـرِ عَلَ لُمَّتِي .. عَزِيزُ الجِنَابِ

فَالنِّضَالُ النَّقِيُّ يَفْتَحُ قَلْـــــبِي حِينَ أَمْتَدُّ فِي مَرَايَا هِضَابِي.. !!»[2]

فمن خلال هذين البيتين نلاحظ أنّ نفسية الشاعر متضاربة المشاعر بين ألم الماضي والرّغبة في الدّفاع عن وطنه.

– الحصار: وظّف الشاعر هذه اللّفظة بكثرة في ثنايا أشعاره، وهذا يدلّ على العدوّ وما يقوم به من مضايقات على الشعب الفلسطيني والضغط عليه يقول:

«حَبَبْتُكِ مَسْكُوناً بِجِذْرِكِ .. صَادِقاً وَعُدْتُ وَفِي جَفْنِي بِكْرٌ وَوَائِلُ.. !!

[1]– ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج1، المصدر السابق، ص 64.

[2]– المصدر نفسه، ص 95.

أُفَتِّشُ عَنِّي فِيكِ رَغْمَ حِصـــــارِهِمْ وَأَسْتَشْرِفُ الأَبْعَادَ حِينَ أُوَاصِلُ»[1]

فالشاعر يخاطب وطنه العزيز فصار يبحث عن ذاته وكيانه في صور بلاده رغم كلّ الأساليب القهرية الممارسة عليه، فالوطن هو الماضي والحاضر والأصالة والهويّة بالنسبة له، فهي أمور لا يمكن لإنسان عاقل يجري في دمه حبّ الوطن أن يتخلّى عنها رغم كلّ الممارسات الوحشية والمضايقات.

يقول:

«وَأَنَا فِي الهَجِيرِ أَلْتَحِـــفُ الشَّمْـ ـسَ .. وَامْشِي عَلَى ضُلُوعِ مُصَابِي

لاَ أُبَالِي رَغْمَ الحِصَارِ .. وَحَسْبِي أَنْ أُنَاجِيـــــكِ وَاثِقاً بِانْتِسَابِي.. !![2]

نلاحظ من خلال هذين البيتين أنّ كلّ العقبات تهون في سبيل الوطن، فالشاعر لا يبالي لا بالحرّ أو القرّ فقد جعل منه عاملاً مساعداً في الدّفاع عن وطنه، ذلك أنّ مختلف العقبات تزيد الإنسان إصراراً وصموداً والحال نفسه ينطبق على لشاعر، فرغم الآلام والمعاناة والحصار الذي يتعرض له هو ووطنه، إلاّ أنه لم ييأس أو يتراجع عن هدفه وذلك بفضل عزيمته وإرادته للعلاقة الوطيدة التي تربطه بوطنه.

– القمع: من الألفاظ المرتبطة بالاستعمار والحروب وهو من الأساليب الوحشية التي يعتمدها العدوّ ضدّ أبناء الوطن من أجل خدمة مصالحه.

يقول:

«أَمَا كسَرْتَ ضُلُوعِي أَلْفُ سِجْنٍ وَحَطَّتْ فِي فَضَاءَاتُ تَرِيبُ..؟ !

وَمَا ارْتَعَدتُ مِنَ القَمْعِ المُصَفَّى وَلاَ أَعْزَتْ جَوَانِحُهَا طُيُوبُ»[3]

فرغم ما يلاقيه الشاعر بين جدران السجون من تعذيب وظلم فإن ذلك يزيده تمسكا بموقفه اتجاه بلاده وهذا الموقف جاء على لسان "ابن الشاطئ" الذي هو لسان أمته.

---

[1]– ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج1، المصدر السابق، ص 67.

[2]– المصدر نفسه، ص 96.

[3]– المصدر نفسه، ص 255.

يقول:

«وَيُسَافِرُ القَدَرُ الحَزِيـ ـنِ عَلَى أَصَابِعِي الظَّمَّاءْ.. !!

أَنَّي اتَجَهْتُ أَظَلُّ رَغْـ ـمَ القَمْـــعِ أَسْرَارَ البَقَاءْ

وَخَوَاطِرِي تَمْتَـــدُ وَا ... ... رِفَةً عَلَ جَفَنِ المُضَاءْ»[1]

يوضح لنا الشاعر أنّه مهما طال الاستعمار في وطنه فهو باقٍ على موقفه.

– **الصمود:** من الألفاظ الدّالة على الجانب الثوري وهذه الأخيرة يعتمدها أبناء الوطن المستعمر كوسيلة من وسائل الدّفاع عن الوطن ومحاولة لردع العدّ وعدم الخضوع له.

يقول:

«تُجَسِّدِينَ شُمُوخِي .. وَتَضْغَطِينَ يَدِي أَتَيَةً دُونَ تَثْـــرِيبِ وَلاَ حَـــذَرُ

وَتُمْطِرِينَ صُمُوداً لَمْ يَـــزَلْ مَـــطَراً يُنَظِّفُ الأَرْضَ .. يَا لِلْحُبِّ مِنْ مَطَرِ .. !»[2]

إنّ الشاعر من خلال هذه الأبيات يرى بأنّ شموخه مرتبط بشموخ وطنه، وهذا نظراً للمكانة التي تحتلها بلاده، رغم كلّ العقبات، فقد اتخذ من الصّمود رمزاً للقوة، كلّ ذلك من أجل هدف معيّن هو استرداد ما هو حق لهم من العدوّ الغاشم، فالصمود هو الحّل الوحيد والأوحد لهم.

ويقول:

«وَأَنَا عَلَى حَدِّ الجِرَا... ...حِ أسِيرُ مُخْتَلِجُ النُّصُولِ

مُتَجَدِّداً أَبداً .. أُسَا ... ... فِرُ فِي مُخَيِّلَةِ الحُقُولِ

أَتَأَبَّطُ المِقْلاَعَ مَسْـ ـكُوناً بِقَامَةِ (شَرْحَبِيلِ)

وَأُعِدُّ فِي حَرَمِ الصُّمُو... ...دِ قَنَابِلِي وَضُحَى فَتِيلِي.. !!»[3]

---

[1]– ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج1، المصدر السابق، ص 560.

[2]– المصدر نفسه، ص 147.

[3]– المصدر نفسه، ص 155.

ومنه فالشاعر تبرز لديه النزعة الوطنية وحبّ الوطن وتتجلى من خلال أبياته هذه، فرغم كلّ الجروح والمشقة فإنه سيكون خير معين لبلاده على دحض العدوّ ولن يدّخر أيّة جهد في سبيل استرجاع السيادة لوطنه حتى يسوده الأمن والسّلام وتكفّ أيدي المستعمر على تقتيل وتيتيم الأبناء وتهجير وطرد السّكان من أرضهم.

يقول:

«أَمَلِي بِأَنْ ألْقَاكَ فَـوْ... ... قَ الظَّنِّ .. فِي ظِلِّ الرَّشِيدِ

تَسْتَحْضِرِينَ حَوَالِجِي وَتُجَدِّدِينَ دَمَ الصُّمُودِ.. !!

يَا أُمَّ أَوْفَى أَنْتِ فِـيْ رُوزِي .. وَذَاكِرَةُ النُّهُودِ»[1]

إنّ هذه الأبيات توضّح لنا مدى العلاقة الوطيدة التي تربط الشاعر بوطنه، وكذلك أمله بلقائه رغم المصاعب ولا يكون ذلك إلاّ من خلال تسلح أبناء الوطن بالصّمود كغاية في حدّ ذاته من أجل الوصول إلى الهدف المنشود.

– الشهادة: لقد استخدم الشاعر معنى الشهادة بدلالات مختلفة، فهي تعني استشهاد الأرواح في سبيل الثورة، وهذا بهدف الوصول إلى معنى الحرية، يقول الشاعر في هذا الصّدد:

«يَتَحَدَّثُ المِقْلاَعُ عَنْ جَفْنَيْهِ .. وَالنَّفْسُ الأَخِيرُ

وَإِذَا الشَهَادَةَ غَرْسُـــهُ وَطُمُوحَهُ الوَطَنُ الكَبِيرُ»[2]

فالشهادة هي الأساس في الجهاد، وهي الأمل الوحيد الذي يتوعّد ببناء وطن آمن.

وبهذا اتّخذت الثورة رمزية الشهادة، فهي تبين على أصالتها ومدى تضحية أبطالها في سبيلها، يقول الشاعر في الثورة:

[1]– ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج1، المصدر السابق، ص 289.

[2]– ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج2، ص 794، 795.

«طُوبَاكِ سَيِّدَتِي الأصِيـ لَةُ .. إنَّ شَعْبِـي لاَ يُبَادُ

وَعَلَيْهِ مِنْ أَلْقَ الشَهَا... ...دَةِ مَا يُتَرْجِمُهُ اعْتِقَادُ.. !!»[1]

ويستحق صاحب الشهادة التقدير لأنّها من أهم شعارات الثورة.

– **الرّفض:** لقد استخدم هذا اللّفظ "ابن الشاطئ" كثيرا في شعره، وهو يدلّ على نظرته السلبية اتجاه الثورة والعدوّ الغاشم، ويتجلّى ذلك في قوله:

«أَنَكْتَفِي بِاجْتِمَاعَاتِ مُضْمَّخَةٌ بِالرَّفْضِ .. وَالوَطَنِ المُحْتَلِ يَنْصَهِرُ

تَهَوَّدَتْ تُرْبَةُ الأَجْدَادِ واغْتَرَبَتْ عَنّا !؟ وَنَحْنُ عَلَى الأَرْدَافِ نَنْتَحِرُ !؟»[2]

من البيتين السابقين تتّضح لنا رؤية الشاعر الرّافضة للثورة والعدوّ، إذ يرى أنّه مهما عقدت اجتماعات وبطلت معاهدات، إلاّ أنّ الهدف واحد وهو: الثورة على الأوضاع، والظروف الصّعبة للبلاد. آملين في ذلك تحقيق الحرية للوطن، وقد ارتبط هذا المفهوم أيضا بالقيام بالثورات والانقلابات العسكرية وتجسيدا لمعاني الرّفض، يقول الشاعر في موقف آخر:

«دَعْ نِيَّةَ القَوْمِ ! وَاسْمَعْ دُونَمَا شَفَةٍ فَلَنْ يُعيدَ مَرَايَا القُدْسِ مُؤْتَمَرُ !!»[3]

وبهذا فاندفاع الشعب أو القوم من أجل تحقيق قضية الوطن لا تقتصر على مختلف الاتفاقيات، فدافعيتهم إلى الجهاد والتضحية في سبيل الوطن هي خاصية كل فدائي ثوري.

وتبقى أمنية الشاعر واضحة في جلّ أشعاره، وهذا يدّل على علاقة الشاعر بأرضه، فـ«الأرض هي دفتر العشق بَلْسَم الروح، والأرض في دفتر القلب من أروع الأمنيات، ودائما يفتح الشاعر كل صنابير القلب لتعبّر عن علاقته بحبيبة أولى رائعة هي الأرض»[4]

---

[1]– ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج2، المصدر السابق، ص 1132.

[2]– المصدر نفسه، ص 1052.

[3]– المصدر نفسه، ص 1047.

[4]– طلعت شقيرق: الشعر الفلسطيني المقاوم في جيله الثاني، منشورات اتحاد الكتاب، د ب، د ط، 1993م، ص 26.

تتسع دائرة الرّفض لدى الشاعر فتدفعه إلى التساؤل متى يتحقق اليوم الموعود؟، اليوم الذي ينتصر فيه الحق على الباطل، يقول في هذا الصّدد:

«مَتَى نَهُبُّ سُيُوفَ لاَ يُكَسِّرُهَا نَفْطُ السَلاَطِينِ أَوْ يَغْتَالُهَا الخَطَرُ»[1]

من خلال هذا البيت، الشاعر يتطلّع إلى غد مشرق، تزهر فيه روح الثورات ويتحقق الأمل الوحيد الذي يهتف بصوت مرتفع الوطن لنا والقهر للعدوّ الظالم.

– الدّم: لقد ورد ذكر هذه اللّفظة في مواضع مختلفة من الخطاب الشعري، ونعني به ذلك الدّم الزكي الذي يهدر في ساحات المعارك، هو طبعاً دم الشهيد والثوار الذين وهبوا حياتهم وروحهم فداءا لوطنهم، فهذا الدّم هو لهيب الثورة وبه تسترجع العزّة والكرامة للوطن المسلوب.

لقد ارتبطت هذه اللّفظة أيضا بمعاني الثورة كالتضحية والحرية، يقول الشاعر:

«نَعْبُرُ المُسْتَحْيلُ دُونَ حُدُودُ وَنَرَى الله في دَمِ الشُهَدَاءِ.. !!»[2]

وبهذا تكون التضحية أوّلا ثم يأتي الدّم في المقام الثاني، فهو يحمل دلالات متعدّدة ومنها قول الشاعر:

«قَدْ تَنَاسُوا أَنَا انْتَفَضْنَا .. وَنَبْقَى رَايَةَ الله فِي الدَّمِ الوَهَّابِ.. !!»[3]

فالشاعر ليزال يتذكر أن انتفاضة الشعب كانت ولزالت من معطيات الثورة، لهذا اتخذَّ الشاعر مختلف الوسائل للتعبير عن روح الثورة، إذ يدعو إلى التغيير، فيوجه كلامه للعدوّ، وقد اشتدّت عزيمته من قبل، يقول مخاطبا الثورة الفلسطينية:

«لَسْنَا كَمَا كُنَّا .. وَيَكْ فِيكِ التَأَفُّفُ وَالظُنُونُ

خَطَرٌ عَلَيْكِ تَوَاصِلِي فَأَنَا الدَّمُ الحُرُ السَّخِينُ»[4]

---

[1]– ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج2، المصدر السابق، ص 1055.

[2]– المصدر نفسه، ص 677.

[3]– المصدر نفسه، ص 654.

[4]– المصدر نفسه، ص 694.

لقد كانت هذه رسالة الشاعر للعدوّ، وبذلك أصبحت «قضية فلسطين ليست مجرد مشكلة قومية على الصعيد العربي، أو أنّها مشكلة اجتماعية بالنسبة لأبناء فلسطين، وإنّما هي مأساة إنسانية عامة»[1]

لأنّها استطاعت استمالة الفكر العربي، خاصة متجاوزة في ذلك الحواجز العربية إلى العالمية.

– الجهاد والتضحية:

يعدّ «أدب الأرض المحتلة، ثروة نورت في الأرض المحتلة تخط مصير وطن في درب الأحرار؛ إنّها ثروة من لهيب جبار (...) بلون أفكار الأحرار لهب تعالى على كل الظلمات»[2]

فهو صورة تنبع من ذاتية الشاعر، الذي راح يصوّر مآسي الوطن خاصة مختلف التضحيات التي قدّمها الثوار والشهداء فداءا للوطن على وجه الخصوص، "فابن الشاطئ" أكثر من الألفاظ الموحية بروح الثورة،فكانت مختلف نداءاته تبين عن قيمة الثورة لديه.

ويقول في هذا الصّدد:

«**المُخْمَلُ الفَيْرُوزِ .. !! حِينَ يصُونُنِي أَرْعَاهُ فِي نَفْسِي .. وَفِي أوْلاَدي**

وَيَكُونُ أَخضَـــرُهُ بِـــدَايَةُ زَحْـــفِنَا وَيَكُونُ فِي شَرَفِ اَلْعِقَالِ جِهَادِي»[3]

الشاعر من خلال هذه الأبيات يتحدث عن وطنه وعن مدى مكانته في نفسه لينقلها إلى أبنائه، فالجهاد هو النّور الذي يؤدي إلى الإشراقة والمستقبل.

ويقول أيضا:

«**وَأَذَانَ الضُحَى .. غَوِيَا وَ "أَفْتَى" فَالشَّهِيدُ الحَبِيبُ مَحْضُ انْتِحَارِي.. !؟**

غَابَ عَنْهُ أَنَّ الجِهَادَ المُعَـــافَى شَرَفَ المَجْدُ والنَدَى وَالفَخَارُ»[4]

---

[1]– غالي شكري: شعرنا الحديث إلى أين؟، ص 81.

[2]– عبد الرحمن ياغي: الأدب الفلسطيني الحديث، دار الكتاب العربي، د ب، د ط، 1969م، ص 98.

[3]– ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج1، ص 319.

[4]– المصدر نفسه، ص 531.

ففي البيت الشعري الأوّل تجسيد لحقيقة مطلقة مفادها أنّ التضحية في سبيل الوطن في نظر العدوّ هي انتحار في حين أن الجهاد هو الأساس الذي تقوم عليه الثورة.

وفي موضع آخر يقول:

«لَمَ لاَ نُؤَذِّنُ ..؟ فَالجِهَادُ يَدٌ طُولَى .. وَسَيْفُ الحَقِّ مُقْتَدِرُ..؟؟ »[1]

فالشاعر يرى أنّ الجهاد هي الطريقة المثلى لرد الحق المسلوب وهو النقطة الفاصلة بين الاستعباد والاستقلال.

[1]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج2، المصدر السابق، ص 743.

2- معجم أعلام الثورة:

لقد استحضر "ابن الشاطئ" الشخصيات التاريخية والتراثية، محاولا في ذلك خلق معاني أصيلة، وما أكثر توظيف هذه الشخصيات، فهو يحاول إذن أن يقدّم لـ«لقصيدة المعاصرة طلقات تعبيرية لا حدود لها (...) وذلك لأنّ المعطيات التراثية تكتسب لونا خاصا من القداسة في نفوس الأمة، ونوعا من اللّصوق بوجدانها، لما للتراث من حضور حي ودائم في وجدان الأمة»[1]

ويكون ذلك مسعى كل شاعر، لأنه يستحضر مقوماتها من جديد ولكن في معنى ودلالات جديدة تجعل من هذا خلقا جديداً يجمع بين الأصالة والمعاصرة، ومن هذه الشخصيات: (شخصية المثنى، طارق بن زياد، مسيلمة وخالد، شرحبيل، سعد).

- شخصيتا خالد وسعد: هما شخصيتان تاريخيتان وظّفهما "ابن الشاطئ" في ثنايا أشعاره، فنجده يقول:

«**فَإِذَا خَالِدٌ عَلَى طنَــفِ (اليَرْمُوكِ) .. عُمْقٌ يُضِيءُ بِرَّ الشَامِ**

وَإِذَا سَعْدٌ فِي (المَدَائِنِ) فَتْحٌ عَرَبِيٌ يُعِزُّ بِالإِسْلاَمِ.. !؟ !

تِلْكَ مَعْزُوفَةَ الدَّرَاوِيشِ مَا تَنْفَكُ فِينَا مِنْ أَلْفِ عَامٍ وَعَامِ»[2]

إنّ الشاعر عمد إلى توظيف شخصية "خالد بن الوليد" باعتبارها شخصية تاريخية والذي لقّب بسيف الله المسلول، فهو شخصية حربية قوية وله منزلة كبيرة بين قادة الجيوش، فقد كان له القدرة على وضع الخطط الحربية العسكرية الناجحة، وتوظيف "ابن الشاطئ" لمثل هكذا شخصية لم يكن جزافاً؛ بل لبعث الحماسة والإصرار في نفوس أبناء وطنه وكذا عدم الخضوع وربّما اعتمده كرمز للتّفاؤل والأمل والحلم بغدٍ أفضل، فالشاعر إن صحّ التعبير يطمح أن يكون هناك قائد بمثل مهارته وخبرته، أمّا عن شخصية "سعد" فهي شخصية تاريخية أيضا تعود جذورها إلى عهد الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، وهو من الصّحابة العشرة المبشرين بالجنة وهو "سعد بن أبي وقاص" الذي دافع عن الإسلام، ومن الصحابة الذين صبروا وتحمّلوا الأذى الذي لحق بفئة المؤمنين من طرف قريش فكان خير من رفع راية الإسلام عاليا.

---

[1]- علي عشيري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، 1417هـ/ 1997م، ص 16.

[2]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج1، المصدر السابق، ص 43.

– **شخصية شرحبيل**: وهي شخصية دينية تاريخية وهو صحابي من صحابة الرّسول صلّى الله عليه وسلّم يقول:

«وَأَنَا عَلَى حَدِّ الجِرَا... ...حِ أَسيرُ مُخْتَلِجُ النُّصُولِ

مُتَجَدِّداً أَبَداً .. أُسَا ... ... فِرُ فِي مُخَيِّلَةِ الحُقُولِ

أَتَأَبَّطُ المِقْـلاَ عُ مَسْـ كُونَا بِقَامَةِ (شَرْحِبيلِ)

وَأَحَدٌ فِي حَرَمِ الصُّمُو... ...دِ قَنَابِلِي وَضُحَى فَتِيلِي.. !!»[1]

فالشاعر من خلال عودته إلى استدعائه مثل هذه الشخصيات الدينية والتراثية في ثنايا شعره رغبة من ذلك في كشف هموم وآلام ومعاناة الإنسان المعاصر، فهو يُسقط الماضي على الحاضر من أجل بثّ وترسيخ الشجاعة والقيم الإنسانية في الفلسطيني للوقوف في وجه الطّغيان والاستبداد المسلّط عليهم من طرف العدوّ الصّهيوني.

إنّ شخصية "شرحبيل" كرمز استحضرها الشاعر ودسّها في أشعاره ليبرز المكانة التي تحظى بها هذه الشخصية لما لها من القوّة والجرأة يقول الشاعر:

«وَإِذَا الأَقْصَـى يَرَى فِـي مُقْلَتَيْهِ (شَرْحَبِيلاَ) .. !!

لاَ تَظُنِّي أَنَّنِـي أَنْـ سَى .. وَهَلْ أَنْسَى الجَلِيلاَ.. ؟؟

وَطَنِي أَنْتِ .. فَيَا لِلْـ حُبِّ يَمْـتَدُّ نُصُولاَ.. !!»[2]

إنّ الشاعر ونظرا للمكانة العالية التي تحتلها شخصية "شرحبيل" سواء في الجانب الدّيني أو حتّى التاريخي، وذلك بفضل انتصاراته وبسالته فقد ربط الشاعر اسم هذه الشخصية بأغلى شيء على قلب الشاعر ألا وهو القدس خاصة وفلسطين عامة ربّما أملا وتفاؤلا منه بيوم أو غد أفضل، غد تسترجع القدس مكانتها وفلسطين وزنها بين مختلف الأمم، وذلك من خلال ظهور أشخاص يكررون الماضي بكل إيجابياته وانتصاراته لصناعة مستقبل مشرق خالٍ من الظّلم والاستبداد يعيش الفرد الفلسطيني فيه بكلّ أمان واطمئنان وسلام.

[1]– ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج1، المصدر السابق، ص ص 154، 155.

[2]– المصدر نفسه، ص 268.

– **شخصية مسيلمة:** وهي من الشخصيات التي وظّفها "ابن الشاطئ" في نصّه الشعري لكن هذه الشخصية ليست كباقي الشخصيات السّالفة الذكر، وإذا كانت شخصيات (شرحبيل وخالد بن الوليد وسعد بن وقاص ...) تمثّل الجانب الإيجابي من حياة الأمم، فشخصية "مسيلمة" على العكس من ذلك تماما.

إنّ الشاعر لم يقتصر على توظيف الشخصيات الإيجابية فحتّى السلبية كان لها حضور في نصّه الشعري، وأكبر مثال على ذلك شخصية "مسيلمة" إذ يقول الشاعر في هذا الصّدد:

«كَأَنَّ حِجَارَةِ الأَطْفَـالِ وَهْمٌ وَرَائِحَةُ الرَّصَاصِ غَدَتْ تُعِيبُ

وَأَمْوَاجُ البُطُولَةِ فِي حِمَـــانَا يُقَوْلِبُهَا مُسَيْلَمَةَ كَـذُوبُ.. !!

تَزَاحَمَتْ الرَّدَاءَةُ .. واكْفَهَرَتْ وُجُوهُ النَّاسِ .. وَانْكَسَرَتْ قُلُوبُ»[1]

هذه الأبيات بمثابة نفي لواقع أطفال فلسطين الذين يجعلون من الحجارة سلاحهم الوحيد في مقاومتهم للعدو والدّفاع عن أرضهم، وأنّ تلك البطولات والتّضحيات المبذولة من طرف أبناء الوطن ما هي إلاّ خرافات، وقد دعم هذا النّص هذا النّفي بشخصية "مسيلمة" تلك الشخصية التي يعرفها كلّ شخص، فهي تضرب بها في مجال الكذب وقد اعتمدها الشّاعر في أشعاره للدّلالة على أولئك الذين يرون في اضطهاد فلسطين وقتل أبنائها بالشيء العادي وتوظيف "ابن الشاطئ" لهذه الشخصية كان في المقام المناسب، كيف لا وهو الذي ادّعى النبوّة في عهد الرّسول صلّى الله عليه وسلّم.

ونجده يقول في موضع آخر:

«وَطَبِيعَةُ الأَشْيَاءِ فِي وَطَنِ غَالٍ .. وَكَابُوسٌ .. وَمُنْحَدَرُ

وَغِلاَفُكِ الجَوّيَّ عَـــاذِلَتِي وَمَسَافَةٌ عَـــــذْرَاءُ تَنْبَهِرُ

أَغْرَى سَذَاجَتَهَا (مُسَيْلِمَةٌ) وَمُخَادِعٌ .. وَمُسَوِّقٌ قَذِرُ.. !؟ !

عَاشَتْ عَلَى أَمَلٍ يُهَدْهِدُهَا لَكِنَّ تَبَخَرَّ وَانْقَضَى الوَطَرُ.. !؟ »[2]

---

[1]– ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج1، المصدر السابق، ص 227.

[2]– ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج2، ص 872.

هذه الأبيات تدور حول موضوع الوطن أم أوفى ذلك الوطن الذي يُضحّي من أجله بالنّفس والنّفيس، وكيف أنّ العدوّ الصهيوني استطاع بطرقه الملتوية من خداع وكذب بأن يطيح بوطن الشاعر جرّاء تلك الوعود الزائفة للشعب الفلسطيني، فارتأى الشاعر بأن يُسقط شخصية "مسيلمة" الكذاب على العدوّ الصهيوني، وهذا الإسقاط أصاب الهدف وقد أحسن "ابن الشاطئ" في تصوير مكر وخداع العدوّ من خلال اعتماده على شخصية "مسيلمة".

ونبقى دائما مع شخصية "مسيلمة" إذ يقول كذلك:

«وَغَيْرِي كُلَّ شَيْءٍ !! وَاحْصَدِي لُعَبًا تَكَرَّشَتْ فِي مَنَافِيهَا !! وَلَمْ تَثُرِ !!

أَتَسْكُتِينَ عَلَى حُـــمَّى (مُسَيْلَمَةَ) وَقَدْ تَقَمَصَ (عَبْدُ الله) فِي ظَفَرِ؟؟

يَتِيهُ فِي حَلَقَاتِ النـــِّكْرِ مُنْتَشِياً وَيَدْفُنَ القُدْسَ كَالحَمْرَاءِ فِي حُفَرِ»[1]

الشاعر من خلال هذه الأبيات يدعو أبناء الوطن إلى النّهوض ومحاولة تغيير الوضع السّائد وعدم السّماح للعدوّ بالاستيلاء على أرضه وعدم الثقة بالاحتلال الصهيوني من خلال الوعود التي يطلقها، فهي وعود زائفة والعدوّ الإسرائيلي هو صورة صادقة لما تحمله شخصية "مسيلمة" الكذاب بكلّ معنى للكلمة، فما يؤخذ بالقوة لا يسترجع إلاّ بالقوة.

– **شخصية المثنّى**: لقد استحضر الشاعر هذه الشخصية في مواضع عديدة في أعماله الكاملة، فنجده يقول:

«تَسْتَقْبِلُ الأَبْعَادُ فِي سَاعَةِ الصِّفْـ ـرِ .. وَيَبْقَى الإِرْهَابِ خَيْرَ لِجَامِ

وَنُعَزِّي النُّفُوسَ بِالغَّمْـــزِ وَاللَّمْـ ـزِ .. وَتَرْعَى فِي الظِلِّ كَالأَغْنَامِ

نَتَبَاكَى .. نَجْتَرُّ سَيْفَ (المُثَنَّى) وَالمَيَامِينَ مِنْ بَنِي الأَعْمَامِ»[2]

استحضر الشاعر شخصية "المثنّى" لما لها من مكانة في التاريخ الإسلامي، وكدافع وتحفيز لأبناء الوطن من أجل أن يتخذوه كرمز للشجاعة، قدوة لهم في تصدّيهم ومحاربتهم للعدوّ الصهيوني.

---

[1]– ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج2، المصدر السابق، ص 988.

[2]– ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج1، المصدر السابق، ص 42.

ويقول في موضع آخر:

«تَحْمِلُ (المَاجِدَاتُ) سَيْفَ المُثَنَّى فِي تَحدٍّ .. مَخْضَوْضَلِ مِعْطَاءُ

فَإِذَا القُدْسُ فِي ضَـــمِيرِ (دَيَالَى) والمُرُوءَاتُ فِي حِمَى (الزَّوْرَاءِ)

وَإِذَا أَنْتَ يَـــا بُنَـــيَّ زِنَـــادٌ مِنْ جِهَادِ الأَوْرَاسِ فِي حَيْفَاءِ.. !!

تَتَجَلَّى عُرُوبَةُ الأَمْسِ حَـــقًّا فِي ضُحَى الوَنْشَرِيسِ بِاسْتِمْرَاءِ»[1]

فالشاعر من خلال هذه الأبيات يركّز عموما على الأثر الذي تركته شخصية "المثنّى" في النفوس، فقد جعلوا من القدوة والأسوة في الصّمود والمقاومة وعدم الاستسلام والرّضوخ للعدوّ، وهذا إن دلّ على شيء فهو يدلّ على المكانة الرّفيعة التي تتبوؤها هذه الشخصية.

وفي السياق نفسه يقول:

«يَا شَبَابَ الأَقْصَى .. إِلَيْكُمْ مَرَايَا مِنْ شُمُوسِ الأَوْرَاسِ فِي أَوْطَانِي

لاَ تَشَلُّوا صُمُودَكُمْ وَاسْتَقِيمُـــوا كَ (المُثَنَّى) فِي سَاحَةِ المَيْدَانِ»[2]

الشاعر في هذه الأبيات يدعو شباب فلسطين إلى المقاومة والصّمود والوقوف في وجه الاستعمار وعدم السّماح له بأن يثني من عزيمتهم وإصرارهم وأن تكون لهم القوة والصّلابة في الدّفاع عن أرضهم بكلّ حماسة وعدم التخاذل في ذلك، وأن يقتدوا بأفعال "المثنى" لأنّه راية في القوة والصّمود والتحدّي.

– شخصية طارق بن زياد: وهي شخصية كباقي الشخصيات التي سبق التطرق إليها، لها مكانتها الخاصة في التاريخ الإسلامي العربي، غذ يقول "ابن الشاطئ":

«نَتَغَنَّى بِالحُبِّ فِي المَوْقِفِ الصَّعْـ ـبِ .. وَنَصْبُو لِلَحْظَةِ اسْتَشْهَادِ.. !!

أَيُّهَا الأَنْقِيَاءُ هُبُّـــوا خِـــفَاقًا وَثِقَالاً .. كَ (طَارِقِ بَنْ زِيَادِ).. !؟»[3]

---

[1]– ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج2، المصدر السابق، ص ص 1153، 1154.

[2]– المصدر نفسه، ص 1190.

[3]– ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج1، المصدر السابق، ص 166.

إنّ الشاعر في أعماله الكاملة يواصل دعوته للشعب الفلسطيني بأن يكونوا مثل السّابقين في استماتتهم وغيرتهم على بلادهم، وفي هذه المرّة لجأ إلى توظيف شخصية لها باع طويل وصيت كبير في التاريخ العربي؛ ألا وهي شخصية "طارق بن زياد" ذلك القائد المسلم الذي قاد الفتوحات الإسلامية عبر مختلف المناطق، وذلك ضمانا للانتشار السّريع وتمّ توظيف هذه الشخصية نظراً للوزن الثقيل لها، فالشاعر يدعو أهل وطنه للنّهوض والدّفاع عن أرض الوطن صغيرا وكبيرا وأن يتحلّى بالشجاعة ويتّخذوا من الصّمود عنوانا لكفاحهم حتى يستردوا ما سلب منهم.

وخلاصة القول: أنّ الشاعر أثناء استحضاره لمثل هذه الشخصيات، وذلك نظرا للمكانة والمنزلة العظيمة التي تتميز بها، فهي رموز كتبت أسماؤها بحروف من ذهب خلّد التاريخ أسماءها.

3- معجم الألفاظ الدّالة على وسائل الثورة:

يعدّ السّلاح من أهم الوسائل لمواجهة العدوّ، وهذا لما له من دور فعّال في مجرى الثورة لكونه يسعى إلى تحقيق النّصر وإعادة الأرض المسلوبة، وبهذا كانت وظيفة الدّفاع من خلال حسن التخطيط والتّدبير وتتمثل بعض وسائل الثورة في "القنابل، الرّصاص، الرّشاش، السّيف، البندقية، الخنجر".

- القنابل: من الوسائل المعتمدة أثناء الحروب وهي عبارة عن متفجرات، يقول الشاعر في هذا السلاح الذي يعدّ من الأسلحة الأكثر فتكا وخطورة:

«وَأَدْخُلُ عُمْقَ العُمْقَ..مُحْتَرِقُ الخُطَى فَتَخْضُرُ آفَاقٌ .. وَتَزْهُو سَنَابِلُ

وَتُبْعَثُ مِنْ ضِلْعِ الحَـجَارَةِ أُمَّـةٌ يُغَرْبِلُ كَفَّيْهَا الصّغَارُ القَنَابِلُ.. !!

وَيَبْتَدِئُ العَـدَّ الجَدِيدُ مُـخَضَّبَا بِكَفٍّ صَغِيرِي .. أَيْنَ مِنْهُ جَحَافِلُ»[1]

إنّ الشاعر من خلال هذه الأبيات يوضح لنا النزعة التفاؤلية التي تعتريه ذلك أنّ أمّة الحجارة هذه، -يقصد بها فلسطين تحديداً-. ستغير الأحوال وتقلب موازين القوة فيصبح الأطفال يتحكمون في هذا السلاح وكأنها لعب بالنسبة لهم وينتج جرّاء ذلك تغيير في الوضع إلى ما هو أحسن ويعود الغد المشرق المسروق منهم ليتمتعوا بالأمان والحرية.

2- الرّصاص: عبارة عن طلقات معدنية نارية وهي ذخيرة تشحن بها الأسلحة تنطلق بسرعة فائقة تكون سببا في العديد من الجروح وأحيانا تؤدي إلى الموت. وفي هذا الصّدد يقول "ابن الشاطئ":

«تَسْكُنُ الآهِ دَائِماً .. وَنُصَـلِّي فَوْقَ كَفِّ الرِيَـاحِ والأَحْقَادِ

..كَادَ هَذا الظَّلاَمُ أَنْ يُغْلِقَ البَا... ...بَ ..وَنَبْقَى مَطِيَّةَ الأَسْيَـادِ

وتَظَلُّ النُّفُوسُ قَهْراً مَـديداً وَتَمُوتُ السُّيُوفُ فِي الأَغْـمَادِ

وَأَفَقْنَا عَلَى رَصَـاصِ النّشَامَى فِي (جِبَالِ الأَوْرَاسِ) رَغْمَ العَوَادِي.. !»[2]

---

[1]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج1، المصدر السابق، ص 67.

[2]- المصدر نفسه، ص 86.

فالشاعر يجعل من الرّصاص المنطلق من جبال الأوراس الدّافع والمحفزّ والاستفاقة التي زادت الشعب الفلسطيني إصرارا وتمسّكا بجذوره وبثورته، وهذا الإصرار والتّمسك دليل على مصداقية الثورة وأهدافها والتي تتمثل أساسا في الحريّة والسيادة، ونستطيع القول أنّ ثورة نوفمبر كان لها الفضل الكبير في عدم استسلام الشعب الفلسطيني للاستعمار الصهيوني، فقد كانت قارب النجاة الذي ركبه الفلسطينيون والمنبّه لهم من معاناة وقهر لا حدود لهما.

– **الرشاش:** من الأسلحة الفتاكة السريعة يستعمل في الثورات، وقد وظّف "ابن الشاطئ" هذا النوع من السلاح في خطابه الشعري فيقول:

«كَمْ مَرَّةً عَصَفَتْ وَمَا وَهَنَتْ وَتَحَرَّرَتْ أُمَمٌ وَأَمْصَـــارُ

وَتَسَاقَطَتْ نُظُمٌ مُبَرْمَـــجةٌ وَتَهَاطَلَتْ فِي الدَّارِ أَمْصَارُ

وَتَنَفَّسَتْ أيَامُنَا عَبَـــقًـا وتَعَانَقَ الرَّشَاشِ وَالغَارُ.. !!

أَفَهِمْتِ شَيْئاً..؟ رُبَّما.. فَأَنَا مُتَفَائِلُ.. وَالشَعْبُ جَبَّارُ»[1]

يشير الشاعر إلى فكرة أنّه مهما ظهرت الثورات واحتلت الأوطان، فإنّ الحرّية تبقى مطلبا إنسانيا متحققا دون شك مهما طال ذلك الاستعمار، ومحاولة تحقيق هذه الغاية تنتج عنها جملة من التغيّرات التي تكون شاملة تمسّ حتى نظام الحكم وأثناء هذه الاضطرابات السياسية والعسكرية فإنّ الشعب يحمل على عاتقه همّ تحرير وطنه والقضاء على العدوّ، وهذا الأمر يحتاج إلى لوازم لفعل ذلك تتمثل أساسا في الأسلحة حتى يسترجع ما هو حقّ له، فالشعب هو النقطة الفاصلة في بقاء الاحتلال من عدمه ذلك أنّ الشعب الذي يحمل همّ وطنه ولا يقبل بالذّل والمهانة فإنه شعب له رؤية وطموح، شعب يدرك أنّ تحرّكه سينقده من كارثة حقيقية، فأبناء الوطن في تضافرهم وتضامنهم مع بعضهم تنتج لديهم قوة جبارة، هذه القوة تساعدهم على تحقيق غايتهم المنشودة.

وفي هذا الصّدد يقول الشاعر:

[1]– ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج1، المصدر السابق، ص 139.

«لَمَّا تَزَلْ قَانَا وَرَغْمَ جِرَاحِهَا فَرَسُ الضُّحَى.. وَالكِبْرْ.. وَالتَّنْزِيلاً.. !!

يَتَنَفَسُّ الرَّشَاشُ مِنْ أَحْدَاقِهَا عَبَقاً.. وَيَرْسُمْ وَجْهُهَا المَأْمُولاً»[1]

إنّ الشاعر عند توظيفه للفظة الرّشاش فهو يدلّ على نفسيته الثائرة، ولقد نالت لغة التّحدي والصّمود في شعره الحظّ الوافر، وليست اللغة وحدها فحسب فحتّى المدن الفلسطينية حاضرة بقوة في خطابه الشعري، كيف لا وهي الأساس الذي يقوم عليه شعره فهي مادته التي سمحت له بقول هكذا شعر.

– السيف: من الأسلحة والأدوات الحادة التي كانت تستعمل في الأزمنة السابقة أثناء الحروب، وهو من العتاد الحربي التقليدي ونظرا للتطور الحاصل في زمننا فقد صار استخدامه نادراً وله الكثير من التسميات من بينها: الحسام ...إلخ، ويقول الشاعر في هذا الشأن:

«وَلَمْ تَعُدْ أُمُّ أَوْفَى رَغْـــمَ هَيْبَتِـهَا شَمْساً مُمَيّزَةً فِي البَدْوِ وَالحَضَرِ

عَفَا عَلَيْهَا زَمَانَ الوَصْـلِ وانْدَفَــنَتْ تَحْتَ الرِّمَالِ.. وَقَدْ مَرَّتْ بِلاَ أَثَرِ.. !!

تصوّري ما يقول العصـــر واحتكمي للسّيف يا أم أوفى الرّمز.. واستعري

وَاسْتَحِضِرِي أَمْسَكَ الضَّوْئِي واعْتَذِرِي عَنْ الغَيَّابِ .. وَرُودِي الكَوْنَ وَانْتَشِرِي»[2]

إنّ الشاعر من خلال هذه الأبيات يصف الحال الذي آلت إليه أمّ أوفى الوطن بعد ما كانت تحتل مكانة مرموقة بين الأمم لتصبح في أسفل السّافلين، والشاعر يصف الوضع ويدعو في الوقت نفسه أم أوفى إلى التحرّك والنّهوض من أجل أن تعيد ماضيها المشرق لتبني به مستقبلها وتسترد مكانتها التي كانت تتبوؤها بين الأمم ويدعوها إلى رفع سيفها عاليا من أجل كرامتها ومجدها، فاسترجاع بريق الماضي والعودة إلى مصاف الكبار لن يكون إلاّ بالسّلاح والقوة ومنه تستطيع وضع بصمتها الخاصة وتحقق ذاتها.

وفي السّياق نفسه يقول:

[1]– ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج2، ص 843.

[2]– ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج1، المصدر السابق، ص ص 151، 152.

«لِمَ تَضْحَكِينَ..؟ أَتَسْكُنِيـ ـنَ الهَمَّ مِثْلِي.. وَالنَّشامَى..؟؟

أَتَكْبُـــــرِينَ حَقِيقَةً..؟؟ طُوبَاكِ.. أَيْقَظْتِ الحُسَامَا

فَالأَنْقِيَاءُ الصَيْـــــدُ تَحْـ ـرِصُ دَائِمًا أَنْ لاَ يُضَامَا.. !!»[1]

فالشاعر في هذه الأبيات جاء بلفظة الحسام للدّلالة على قوّة هذه الثورة وأهمية القضية بالنسبة له، وفي الوقت نفسه هناك نوع من الفخر لأنّها استطاعت أن ترفع التّحدي.

– **البندقية:** من الأسلحة التقليدية المعروفة في زمن مضى، ولا يمتلكها إلاّ ذوي المكانة العالية وتعبر رمزاً تراثيا ولازالت إلى يومنا هذا وهي متوسطة الحجم، ويقول الشاعر في هذا الصّدد:

«هَذَا أَنَا عُمْقُ فَلاَحٍ لَهُ نَسَبُ مَجَدِّرِ فِي الثَّرى مَا بَعْدَهُ نَسَبُ.. !!

فَالبُنْدَقِيَةُ جُزْءٌ مِنْهُ يَعْشَقُــهَا عِشْقًا عَلَى جَفْنَهُ الأيَامُ تَعْتَرِبُ »[2]

وتجدر الإشارة إلى أنّ الفدائيين والمجاهدين ليسوا وحدهم من يحقّ لهم امتلاك السّلاح من أجل الدّفاع عن الوطن فحتّى ذلك الفّلاح الفقير له الحق في ذلك أوليس ابن تلك الأرض ! ورغم الشقاء والمعاناة التي يعيشها هذا الفلاّح البسيط فإنّ تراب أرضه ينسيه كلّ تلك الأمور، فالسّلاح والبندقية جزء لا يتجزأ منه وذلك لارتباطها بأرضه الغالية، والفلاح هنا هو رمزٌ لكل فلسطيني مقاوم.

ويقول الشاعر أيضا:

«أَنظَلُّ نَحْتَرِفُ الهُمُومَ بَلــيغَةً وَنَظَلُّ فِي شَفَقِ الضِّياءِ نُحَذِّرُ؟؟

ما أَقْدَرُ الحَرْفَ المُثَوَّرَ رَافِضاً لَكِنَّ حَرْفَ البُنْدُقِيَّةِ أَقْدَرُ.. !!

يَصْغُوا النَّهارُ عَلَى جَدَاوِلُ عُمْقِهِ نَزَقاً.. وَيَبْتلِعُ الخُطُوبَ.. وَيَثْأَرُ»[3]

---

[1]– ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج2، المصدر السابق، ص ص 718، 719.

[2]– ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج1، المصدر السابق، ص ص 197، 198.

[3]– المصدر السابق، ص 1014.

فالشاعر في أبياته يصرّح أنّه عندما يتجاوز العدوّ الحدود المسموح له بها، فإنّ المقاومة والنّضال ضرورة حتمية لردعه، وبهذا يصبح الجهاد واجبا وطنيا وتكون لغة الرّصاص الأنسب وهي اللّغة التي يفهمها المستعمر، فحين يلتقي الحرف أو القلم مع البندقية يتجلّى نوع من الرّفض والمطالبة بالتّغيير.

– **الخنجر**: وهو وسيلة من الوسائل المعتمدة في الثورات، يقول الشاعر في هذا المقام:

«أَنَامُ.. أَصْحُو !! وفِي عَيْنِي بَارِقَةً مِنْ طَيْفكِ الصَّبُّ يغْرِينِي على كِبَرِي !

لاَ تحْرِمِيني مِنَ الدُّنْيَا إِذَا انْطَلَقَتْ خَنَاجِرُ الصَّمْتِ في أَحْداقِ مُعْتَمِرِ»[1]

إن غيرة الشاعر على وطنه وقلقه على مستقبل أمّته هذا جعله يسعى إلى بثّ روح النّضال في شعبه واستنهاض الهمم كلّ ذلك في سبيل استرجاع أرض فلسطين ولا يكون ذلك إلاّ من خلال رفع رايات السّلاح والتنديد بأهمية القضية، قضية الوطن، فصورة الوطن لا تغادر ذاكرته، وإذا أرادت هذه الثورة أن تقف في وجه العدوّ لابدّ لها من الحصول على العدّة والعتاد لها.

إنّ المتأمل لأسماء الوسائل الحربية التي يمتلكها وطن الشاعر (البندقية، السيف، الخنجر..) يلاحظ أنّها أسلحة أقلّ فتكا من أسلحة العدوّ، لكن أبناء الوطن عوّضوا هذا النقص في العتاد الحربي بإيمانهم المتزايد بقضية وطنهم، فرغم العدّة والعتاد إلاّ أنّ التفاؤل بالانتصار كان هو الأقوى.

ثانيا: متفرقات من الثورات:

يعدّ التاريخ صورة الشعوب ومرآة تعكس مختلف الأحداث والظروف التي مرّوا بها، فهو تذكير بتضحيات جسام قام بها الشعب لتحرير أوطانهم من العبودية، باعتبار الحرية آنذاك أغلى ما في الوجود كلّه، ومن أهمّ الثورات العربية نذكر على سبيل المثال "الثورة الفلسطينية، الثورة السورية، الثورة الجزائرية...".

ونحن نسوق هذه الأمثلة اخترنا الحديث عن بعض منها:

[1]– ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج1، المصدر السابق ، ص 987.

أ– فلسطين: تعتبر الثورة الفلسطينية بحق أهم ثورة على الإطلاق، إذ يعدّ "ابن الشاطئ" أحد أبنائها يعاني حرقة البعد ومرارة الغربة، فرغم ذلك إلاّ أنّه بقي لصيقا بها، يتتبع أحداثها ومدونا إيّاها في أشعاره، فقد خلق لها صورا عدّة مسجلة أحداثها الدامية التي شهدتها هذه الأرض المحتلة، يقول الشاعر:

«وَكَمْ أَرْهَقْتُ نَفْسِي دُونَ طَعْمٍ وَكَمْ نَزَفَ المُخَيَّمَ وَالجَنُوبُ.. !!

وَحِينَ أَعُودُ لِلْماضِي أُعَـــانِي فَفِي جَفْنَيْكِ غَالِيَتَي أَذُوبُ»[1]

نلتمس من خلال هذه الأبيات صيحة الشاعر الوطنية وهو ينقل لنا معاناته، فهي تعبر عن صوت الجهاد والكفاح لديه، وبذلك كان هدفه من خلال هذه الدفقات الشعرية تطهير هذه الأرض وإعادة هيبتها من جديد.

هي المعاناة وحدها التي جعلت من شخصية الشاعر تأبى الرّضوخ، فهي تدفعه إلى العودة للماضي المؤلم أين كانت الحماسة والبطولة تمرّ الأرض معلنة الصّمود، كما يبدي استهزاءه من العدوّ وبقراراته يقول ردّاً عليه:

«شِعَاراتٌ مُزَوّقَةً .. وَفِعْلٌ نَقِيضُ يَسْتَفِزُّ.. وَيَسْتَرِيبُ

شِعَاراتٌ تَسِيرُ علَى هَوَاهَا وَأَنْظِمَةٌ يُعَسْكِرُهَا الصّلِيبُ»[2]

فالكيان الصهيوني كان همّه تحقيق سياساته على أرض ليست له، لكن التضحيات تخلق معانيها وتستطيع أن تثبت أنّ الأرض ملك لأهلها، فهي الحياة والأمل، فاسترجاعها أمر مكتوب.

فهذه الأبيات، الشاعر ينقل لنا ألاعيب هذا العدوّ يقول:

«..نَاجَزَتْنَا الدُّمَى.. وَغَلَتْ هَوَانَا وَاسْتَنَامَتْ عَلَى الخُطُوبِ الخُطُوبُ

وَالحِجَارَةُ الظَمْأَى تَدُورُ رَحَاهَا فِي فِلَسطينَ.. وَالحِصَارُ مُريبُ.. !؟»[3]

هي مرارة البعد خلقتها الغربة وتأثيراتها في حياة الشاعر، فكانت أمنيته العودة إلى وطن الآباء والأجداد محررا.

---

[1]– ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج1، المصدر السابق، ص 225.

[2]– المصدر نفسه، ص 229.

[3]– المصدر نفسه، ص 260.

يقول في هذا الصّدد:

«إِنِّي اَهِيبُ بِأَنْ تَعُودِي حُـــــرَّةً كَالأَمْسِ رَغْمَ شَرَاسَةِ العُمَلاَءِ.. !!

...هَزَتْ ضَفِيرَتَهَا ..وَأَشْرَعَ سَيْفَهَا عَلَناً ..وَقَالَتْ: فِي الجَلِيلِ لِقَائِي.. !!

وَجَمَعَتْ أَنْفاسِي وَصَحَتْ مُتَيَّماً: يَا أُمَ أَوْفَى ..يَا ضَمِيرَ ضِيَائِي

يَا أُمَّ أَوْفَى .. عَفْوُ حُبُّـــــكِ إِنّهُ شَرَفِي.. وَرَاحَلَتِي ..وَسِرُّ بَقَائِي»[1]

أرض الغربة تشبعت من دماء المعاناة والألم، فرغم ذلك استطاع الشاعر حمل رايته بصبر وإرادة، التي شدّت عزيمته ليبقى في وجه العدّو صامدا، فيواصل كلامه قائلاً:

«الكُلُّ يَطْلِعُ مِنْكَ مُخْ تَلِجَ الخُطَى ..لاَ يَسْتَكِينُ

وَجِهَادُنَا القَدَرِيُّ مُـوْ... ...صُولٌ.. تُجَسِّدُهُ (جَنِينُ).. !!

إِنَّا عَقَدْنَا العَـــزْمَ وال أَجْسَادِ فِي حِيفَا المُنُونِ

تَجْتَثُ أَعْمِدَةُ الظَّلاَ... ...م.. وَيَتَجَلَى النَّصْرُ المُبِينُ.. !!»[2]

فكان العزم لابدّ منه، خاصة عندما يتعلق الأمر بالوطن، فالقضية الفلسطينية قضية دامية شغلت كل عقل عربي.

ما من شكّ أنّ نفس الشاعر امتلأت حزنا وألما على شعبه المقهور والضائع في المنفى تحت خيام بالية فرغم هذه الظروف القاسية إلاّ أنّ الشعب ليزال يبرهنّ على عزيمته الدائمة التي تسعى لمواصلة النضال يقول الشاعر متحديًا.

«لاَ تَغِيبِي يا أُمَّ أوفى.. حَضَرْنَا فِي فِلِسطين.. واصطَفَانَا اللَّهيبُ

وغَزَلْنَا مِنَ الحِجارَةِ سَيـــــفاً مُسْتَحِـــــــيلاً وأَذْرُعاً لاَ تَخِيبُ

---

[1]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج2، ص 686.

[2]- المصدر نفسه، ص ص 699، 700.

نَتحدّى النَّازي.. نَخْنُقُ لَيْلاً بَرْمَجتهُ الدُمَى.. وصَمْتٌ رَهِيبُ»[1]

هي لغة التحدّي كانت سلاح الشاعر في كل حين يقول:

«وأنّنَا لاَ نخافُ المَوْتَ.. تُحَفِّزُنَا (الله أكْبَرُ) ..مَا أَحْلَى مَرَايَاهَا.. !!»[2]

تلك كانت طريقة الشاعر في التعبير عن انتمائه إلى فلسطين، فكانت مختلف نداءاته تبين عن مدى قيمة الثورة لديه.

لقد كانت الإشادة ببطولات الثوار متواصلة، فالشاعر بطل منهم، فكان الاستعداد والتأهب للعدوّ سمتهم. فخلقوا روح البطولة والفداء من اجل فلسطين حرّة يقول الشاعر:

«وَانْتَفَضْنَا كَالمُسْتحِيلَ.. وَأَضْحَتْ لُغَةَ الصَّبْرِ فِي شَرَفَا الحِرابِ.. !!

وَتَبَنُّوا مِنْ الشِعَـــــارَاتِ سَبِيلاَ يَتَمَرَّى بِحُبّةِ العَرَّابِ.. !!

قَدْ تَنَاسُوا أَنَّا انْتَفَضْنَا.. وَنَبْــقَى رَايَةُ الله فِي الدَّمِ الوَهَابِ»[3]

كانت هذه رسالة الشاعر إلى حماة الأرض، فها هو الشعر الفلسطيني يستجيب للنداء ويقف شاهد عيان على بطولات هذا الشعب.

كان "ابن الشاطئ" صوتا مدويًا ومؤازراً لهذه القضية التي حاولت استرجاع الأمل الضائع والكرامة فاهتزت نفسه فيقول:

«كَمْ أَتْخَمُونَا بِمَا قَالُوا ومَا صرَّحوا مِنَ الشِعَارَاتِ حــتَى مَلَّنَا التُخَمُ

وَكَمْ تَوَرَمَتْ الأَلْفـــــاظُ مُعْلِنَةً عَنِ الجِهادِ .. وكَمْ أَوْدَى بِنَا الوَرَمُ

تَمَخْتَرَتْ كلُّ أَطْرَافِ النِضَالِ وَمَا عَادَتْ بِنَادِقُنَا فِي اللُّــدِ تَنْتَقِمُ»[4]

---

[1]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج2، المصدر السابق، ص ص 837، 838.

[2]- المصدر نفسه، ص 634.

[3]- المصدر نفسه، ص ص 653، 654.

[4]- المصدر نفسه، ص 1089.

فرغم تراجع الرشاش في ساحة النضال إلاّ أنّ اللّفظ اعتلى عليه لكونه الأسلوب الذي يفهمه المستعمر، ويتوعد الشعب بمستقبل زاهر، فهذه الثورة أيقظت الضمير العربي النائم، فهي بعثت في الشعب اليقظة من جديد، وهذا ساهم في وصول صداها إلى أقاصي الدنيا، فأصبحت احتفالاً لا يشارك فيه الكبير وحتى الصغير دون استثناء فحظيت بالتضامن.

ب– الجزائر:

إنّ الثورة الجزائرية وكما هو معلوم كانت انطلاقتها في الأوّل من نوفمبر عام 1954 وقد كانت انطلاقة لعهد جديد، عهد تنكسر فيه قيود الخضوع والإذلال، كما كانت أيضا بداية العدّ التنازلي لنهاية سلطة الاحتلال الفرنسي على الجزائر التي كان شعبها يعاني الويلات جرّاء تعرضه لأبشع أساليب الترهيب والضغوطات والحرمان والمعاناة والتعذيب وكلّها تصبّ في مجرى واحد وهو مجرى الأساليب التّعسفية الوحشية التي لا تمتّ للقيم الإنسانية بصلة لا من قريب ولا من بعيد.

تعتبر الثورة الجزائرية ـ دون مبالغة ـ أعظم الثورات التي شهدها التاريخ، فالشعب وفي خضمّ تلك الأحداث والصّراعات أصبح مدركا لما يحصل معه وواعٍ بالوضع الذي ستصل إليه الحياة في ظلّ هذا الاحتلال الفرنسي وبسبب تلك المجريات كان لابدّ لهم من الانتفاضة ومحاولة دفع الظلم واسترجاع حقوقهم رغم أنّ الثمن باهض جداً، على الرغم من ذلك فإنّ عزيمتهم بقيت صلبة لا تزعزعها الظروف وذلك من أجل تحقيق الهدف المنشود وهو الحرية، والثورة الجزائرية هي رمز الصّمود والتحدّي كلّ ذلك بفضل شجاعة وبسالة شعبها كبيرها وصغيرها، رجالها ونسائها ما أدّى إلى وصولها إلى الرأي العالمي.

وجرّاء هذه الأحداث العنيفة فإنّ «أرض الجزائر قد تحولت إلى مسرح للّدماء والدّمار، وجميع أساليب القمع والقهر»[1]

كلّ هذه الأشكال من التقتيل والتّرهيب والتخويف أساليب يعمد إليها الاحتلال من أجل الاستلاء على تلك الأرض، وكيف لاستعمار متوحش أن لا يعيث فساداً ودماراً وخراباً؟ كلّ ذلك من أجل أهدافه وخدمة لمطامعه ومصالحه ورغم ذلك كلّ شيء يهون في سبيل استرجاع الحريّة والكرامة والعزّة حتى وإن كان ثمن ذلك هو التضحية بالنّفوس لأنّ الوطن هو الهوية والأصالة.

[1]– أحمد الشقيري: قصّة الثورة الجزائرية من الاحتلال إلى الاستقلال، دار العودة، بيروت، لبنان، د ط، دس، ص 10.

إنّ النهوض في وجه الاستعمار ومواجهته وعدم الخضوع له والثورة على الظلم حق من حقوق الشّعب الطبيعية، وهذا الحق لا يمكن لأي كان انتزاعه منه مهما بلغت هذه القوة من جبروت ذلك «...أنّ الشّعب الجزائري حين يتمرّد على الاستعباد الفرنسي فإنّما يمارس حقّه الطّبيعي والإنساني في الثورة والتمرّد على الظّلم والاستبداد»[1]

إنّ الثورة الجزائرية في نهوضها كانت نابعة من أعماق شعب يشعر بغيرة على وطنه الذي يغتصب أمامه وينتزع منه شيئا فشيئا، فثارت عواطفهم الجيّاشة وكوّنت عاصفة في وجه الاحتلال مفادها الصّمود والتحدي، فالثورة الجزائرية تقوم أساسا على قيم إنسانية كالعزّة والشّرف أي أنّ «... ثورتنا الجبّارة المنتصرة الظافرة لم تكن مرتكزة على أسس مادية بحتة (...) بل كانت ثورتنا مع كلّ ذلك ثورة كرامة وعزّة وشرف»[2]

وإنّ ارتكاز الثورة الجزائرية على مثل هذه القيم الإنسانية هو ما ضمن لها الوصول إلى الرأي العام العالمي والثورة الجزائرية ثورة أحرار كتبوها بدمائهم وحرّروها بأرواحهم، ولقد حظيت هذه الأخيرة باهتمام العديد من الشعراء على غرار شعراء الجزائر نظرا للمكانة التي تحتلها في أوساط الشعوب المختلفة، فقد صار الشعراء يوظفونها في أشعارهم ويتغنون بها، فهي أمل كلّ شعب مضطهد ورمز للقيم الإنسانية ولقد كان «.صدى الثورة الجزائرية في الشعر العربي مظهرا من مظاهر الرّوح القومية العربية وأيضا مظهراً من مظاهر الرّوح الإنسانية»[3].

فهي ثورة شعب أبى الرّضوخ والاستسلام وهذه الثورة وإن كانت تمثل الجزائر خصوصا فهي تعكس الأمة العربية عموما.

إنّ الشعراء في توظيفهم للثورة الجزائرية أحيانا يكون بصريح العبارة وأحيانا أخرى بمسميات تدلّ عليها كأسماء الجبال أمثال: الأوراس، الونشريس، أو الشخصيات مثل: البطلة "جميلة بوحيرد" أو حتّى الشهور كنوفمبر، ذلك الشهر العظيم لأنّه يمثل الانطلاقة الأولى يقول "مصطفى بيطام" عن الأوراس: «...الأوراس لفظة محبّبة (...)

[1]- أحمد الشقيري: قصّة الثورة الجزائرية من الاحتلال إلى الاستقلال، مرجع سابق، ص 10.

[2]- صلاح مؤيد: الثورة في الأدب الجزائري، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، د ط، د س، ص 03.

[3]- أحمد مزدور: الثورة الجزائرية في الشعر المصري المعاصر، ص 07.

تردّدها الألسنة في كلّ مكان، لأنّها رمز الهوية الجزائرية وشعار البطولة والوحدة الوطنية، كما أنّها رمز وجود الإنسان الجزائري الرّافض لكلّ من يريد إذلاله والتحكّم في مصيره»[1]

فقد كانت الأوراس الملجأ والمكان الآمن للثوار الجزائريين.

وهناك العديد من الشعراء من مختلف الأقطار تغنّوا بالثورة الجزائرية وبطولاتها أمثال: "سليمان العيسى"، "يوسف الخال"، "عبد الوهاب البياتي" ...إلخ، ولعلّ من بين الشعراء المعاصرين الذين تغنّوا بالثورة الجزائرية الشاعر الفلسطيني "ابن الشاطئ" في أعماله الكاملة إذ يقول عن الأوراس:

«وَأفَقْنَا عَلَى رَصَاصِ النّشَامَى فِي (جِبَالِ الأَوْرَاسِ) رَغْمَ العَوَادِي.. !

وَإذاَ جَذْرِكَ الأَصِيلُ صَبَاحُ يَبْعَثُ الشَّمْسَ فَوْقَ تِلْكَ النَّجَادِ»[2]

فجبال الأوراس هي التي كانت شاهدة على الانطلاقة الأولى لرصاصة حرب التحرير، فأعالي جبال الأوراس كانت حصن المجاهدين، لأنّ يد الاستعمار الفرنسي لا يمكن لها أن تصل إليها إلاّ عبر طائراته.

ويقول أيضا :

«أَلَسْتِ مِنْ مُقَل (الأَوْرَاسِ) سَيِّدَتِي مَسْرَى الشُّمُوخِ..وأَنْتِ النَّخْلُ وَالحَدَقُ..؟؟ »[3]

فالشاعر يرى في الأوراس منبر الأمجاد والشّموخ والبطولات.

وفي المقام نفسه يقول:

«وَشَفَّنِي الوجْـــدُ فَالأَوْرَاسُ مُؤْتَلِقُ فِي أَصْغَرَيَّ.. وَرِيحُ المِسْكِ تَأْتَلِقُ

وَأَخْطَأْتُ لا تَعْتَبِي..وَانْسِي مَقَالِبَهُمْ فَالفَجْرُ مِنْ طَلْعَتِ الأَوْرَاسِ يَنْبَثِقُ..»[4]

---

[1]- مصطفى بيطام: الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954- 1962، دراسة موضوعية، فنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1998م، ص 108.

[2]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج1، ص 86.

[3]- المصدر نفسه، ص 500.

[4]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج2، ص ص 884، 885.

فالأوراس باعتبارها رمزاً للبطولة والصّمود فإنّ نفس الشاعر تميل إليها لما تحمله من دلالات عميقة فقد انبثقت منها شرارة الفجر والحياة بعدما كانت الجزائر تعيش في غياهب الظّلم والظلام مغمضة العينين، فمن جبال الأوراس فتحت الجزائر أعينها لترى العالم والحياة برؤية مغايرة عمّا كانت تعيشه.

وفي أبيات أخرى يتغنّى الشاعر بالجزائر والونشريس والأوراس فيقول:

«تَتَجَلَّى عُرُوبَةُ الأَمْسِ حَقًّا فِي ضُحَى الوَنْشَرِيسِ بِاسْتِمْرَاءِ

فَعَلَى هَامَةِ الجَزَائِرِ شَمْسٌ شَكَّلَتْهَا مـــــلاَمِحُ الشُّهدَاءِ

هِي والحُبُّ تَوْأَمانِ وَحَسْبِي أنْ يَكُونَ الأَوْرَاسُ مِنْ أَسْمَائِي»[1]

فنعمة الاستقلال والسّيادة كانت ثمرة تضحيات الشهداء من اجل أن يبقى علم الوطن مرفرفا في السّماء، ويتّضح لنا أنّ الشاعر من المحبين للأوراس لدلالاتها الموحية فهي رمز للتّصدي والطّموح ومحاولة مجابهة الاستعمار بكلّ قوّة، إضافة إلى جبال الونشريس التي لا تقلّ أهمية عن جبال الأوراس فكلاهما كانا عاملان من عوامل زحف الثورة وتقدّمها.

ويقول عن شهر نوفمبر في العديد من المواقف:

«كَانَ (تَشْرِينُ) مُسْتَقِيماً مُعَافَى فَتَحدَّى شَرَاســـةَ الأَوْغَادِ

وَأَعَادَ التَّاريخُ فَتْـــــحاً مُبِيناً وأَعَادَ الأَجْدَادَ فِي الأَحْفَادِ»[2]

من خلال هذه الأبيات تتضح لنا مدى عظمة شهر نوفمبر وماذا قدّم للثورة فقد كان فاتحة الثورة التي بدورها كانت رداً على شراسة الاحتلال وهمجيته ونوفمبر دخل التاريخ من أوسع أبوابه وكلّ هذا من أجل رفع راية الانتصار والحرية عاليا ويتحقق ذلك بفضل قيم البطولة والتضحية التي قام بها الأجداد ورسخت في قلوب وأذهان الأحفاد.

ويقول الشاعر أيضا:

---

[1]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج2، المصدر السابق، ص 1154.

[2]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج1، المصدر السابق، ص 86.

«وَوَادَعَتْنِي عَلَى الأَوْرَاسِ ذَاكِرَةٌ لَمَا تزلْ فِي دَمِي كَالأَمْسِ تَأْتَلِقُ

نُوفَمْبَرُ الضَّوْءُ فِي أَعْطَافِهَا لُغَةٌ مَا بَعْدَهَا لُغَةٌ.. وَالشَّوْقُ مُنْطَلَقُ»[1]

فهذه الأبيات توضّح العلاقة بين نوفمبر والأوراس فهما زمان ومكان الانطلاقة الأولى لرصاصة التحرير التي دوّت صداها في ربوع الجزائر، والشاعر هنا لا تزال ذكرى الأوراس راسخة في ذهنه. أمّا نوفمبر فهوا النّور الذي مهّد الطّريق للثورة والذي سطع من خلال جبال الأوراس.

ويقول عن نوفمبر كذلك:

«وَبَعْدَمَا زَوّقُوا (تِشْيرِنَ) وَاعْتَصَمُوا بِهِ.. وَشَدُّوا عَلَى ردْفَيْهِ قُضْبَانِي

ومَثَّلُوا فِيهِ أَطْرافَ الأَنَـــــا زَمَناً فَكَانَ أَشْرَسَ مِنْ حُمَّى (حُزَيْرَانِ) !؟»[2]

فنوفمبر كان الضربة التي قسمت ظهر الاستعمار لأنّها غافلته ولأنّه هجوم موحّد ومنظّم رغم قلّة الفئة المتعلّمة والواعية بسبب انتشار الأمية والجهل والأوضاع المزرية، فنوفمبر زلزل كيان الاستعمار وأثار مخاوفه.

وعن الجزائر يقول:

«هِي الجَزَائِرُ .. لاَ أَرْضَ تُطَاوِلُهَا وَلاَ الفَضاءَاتُ.. نِعْمَ الأَرْضُ والأُفُقُ !! »[3]

من خلال هذا البيت الشعري يتّضح أنّ للجزائر مكانة كبيرة في قلب الشاعر وأكبر دليل على ذلك قوله أنّه لا توجد أرض تضاهيها ولم يترك مجالا للمقارنة بين أرض الجزائر وأرض أخرى، فحتّى الفضاء الواسع يقف عاجزا أمام أرض الجزائر، فالشاعر عندما مدح الجزائر جرّد كلّ شيء من صفاته، والشاعر يعتبر الجزائر وطنه الثاني بعد وطنه فلسطين.

ويقول أيضا:

---

[1]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج2، المصدر السابق، ص 830.

[2]- المصدر نفسه، ص 1108.

[3]- المصدر نفسه، ص 831.

«فَالحَرْفُ يُدْرَكُ مُسْبقاً مَعْنَاهُ رُغْمَ دُجَى الفَسادِ

وَيَرَى الجَزَائِرَ دَائِماً وَطَنَ الشَّهَامَةِ والجِهَادِ.. !!»[1]

فالجزائر بسبب ثورتها التي امتدّ صداها عبر الوطن العربي ومنه إلى العالم صارت معروفة بشهامتها وتضحيات وبطولات أبنائها، فهي وطن المليون ونصف المليون شهيد والتاريخ يؤكّد ذلك.

ج- في الوطن العربي:

لم يقتصر "ابن الشاطئ" في حديثه عن الثورة الفلسطينية والثورة الجزائرية فقط؛ بل تعدّى في ذلك إلى حديث عن مختلف الثورات العربية، فقد جمع في حديثه عن الثورة الفلسطينية مختلف الأقطار العربية الأخرى يقول:

«أَفَهَمْتِ الآنَ مَا أعْنِيـ ـهِ..؟؟.. أَيْقَظْتِ الخُيُولَ

شَعْرُكِ المُمْتدُّ مِنْ (دَجْـ ـلَةَ) عَنّـــي لَنْ يَحُولاَ

ضَفَرَتْهُ الشّمسُ واخْتَا... ...رَتْهُ لِلْـــدُنْيَا رَسُولاً

لَمْ يزَلْ فِينَا نَبِيٌ الـ ـفِعْلِ.. يَجْتَاحُ الدَّخِيلاَ

يَتَحدَّى اللّيْلَ وَهَّا... ...جاً.. عِـرَاقِياً.. نَبِيلاً»[2]

إنّ هذه الأبيات عبارة عن خطاب صرّح به الشاعر، فهو يخاطب وطنه الغالي ويتجسّد له من خلال الأماكن التي زارها وهذا إن دلّ على شيء فهو يدلّ على حبّه واشتياقه لوطنه الذي بقي في قلبه رغم البعد والفراق.

يقول:

[1]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج2، المصدر السابق، ص 1150.

[2]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج1، ص ص 266، 267.

«وَتَألَّقَتْ بَغْدَادُ فِي (بَرْدَى) .. وأَسْرَجِي رِكَابِي

وَاخْتَال دَجْلَةَ وَاثِقاً أنّ الضُحَى نَفْساً الحرَابِ

وَبِأَنَّ أَبْعادَ العُــرُو... ..بَةِ دَائِماً.. فصْلُ الخِطَابِ..؟؟»[1]

فذكر الشاعر لهذه الأماكن مثل: (دجلة، العراق) يدلّ على انتمائه لمختلف الأوطان، وهذا بحكم أنّه عاش لاجئ في مختلف البلدان العربية.

وفي أبيات رائعة يجمع الشاعر فيها مختلف الأماكن التي كانت تعاني ويلات الاستعمار يقول:

«هُنَا الجَزَائِر وَالأَوْرَاسِ مُنْتَــــطِحُ وَيَشْهَدُ الله لَمْ تَرْكَعْ وَلَـــــمْ تَذُبِ

هُنَا العِرَاقُ ضَمِيرُ الشَرْقِ سَيِّدَتِي هُنَا دِمَشْقُ فَضَاءُ الشَّرْقِ فِي قَضِبِي

هُنَا (الجَنُوبُ) جُنُودُ الله تَحْرَسُهُ وَتَفْتَدِيهِ عَلَى أَفْـــرَاسِنَا العَــرَبُ

هُنَا فِلَسْطِينُ.. كُلَ الشَّعْبْ مُنْتَفَضَ وَخَلْفَهُ تَتَعَرَّى قَامَــةُ النَّصْبِ»[2]

فاجتماع هذه الأسماء في هذه الأبيات (الجزائر، العراق، الجنوب، فلسطين) تحيل إلى معنى واحد وهو تمنّي الشاعر عودة الوحدة العربية من جديد.

وفي موضع آخر يشيد الشاعر بمكانة لبنان يقول واصفا:

«لُبْنَانُ..خَلَّدَهُ النّضالُ وَلَمْ يَزَلْ مَطَرُ الصَبَاحُ عَلَى الرُّبَى وَصَهِيلاَ

وَيَظَلُ مَوْفُورُ الكَرَامَةِ مُــــشْبَعاً بِالكِبرِيَاءُ.. وَيَـــرْفُضُ التَّطْبِيلاَ

وَيَظَلُّ مُنْتَطِحُ الشُّعُوبِ مُجَنّحَا وَيَظَــــلُّ لِلْزَمَنِ البَدِيلِ حقُولاَ»[3]

وتبقى لبنان أرض العزة والكرامة في نظر الشاعر، فشعبها صامد يأبى الرضوخ لمظالم العدوّ.

---

[1]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج1، المصدر السابق، ص ص 487، 488.

[2]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج2، المصدر السابق، ص 737.

[3]- المصدر نفسه، ص ص 844، 845.

ثالثا: ثورة الإبداع

إنّ ما يميّز الشعر عن النثر هو موسيقاه التي تصدر عنه جرّاء تآلف بعض العناصر مع بعضها البعض كالبحور والقافية هذه الأخيرة إضافة إلى عناصر أخرى تشكل الإيقاع الموسيقي، فهذا ما يجذب السّامع والقارئ نحو هذا الجنس.

إنّ البحور والقافية تشكّل ما يسمّى بالموسيقى الدّاخلية للنّص الشعري أي أنّها متعلقة بالبنية الدّاخلية للخطاب الشعري من ألفاظ ووزن، فالإيقاع في رأي بعض الباحثين ليس هو الوزن، والإيقاع هو «وحدة النغمة التي تتكرّر على نحو ما في الكلام أو في البيت، أي توالي الحركات والسّكنات على نحو منتظم وفي أبيات القصيدة وقد يتوفر الإيقاع في النثر (...)، وهو بذلك يكون أوسع من الوزن ويحتويه في الوقت نفسه»[1]، في حين أنّ الوزن: «مجموعة التفعيلات التي يتألف منها البيت أو هو النظام الذّي تترتب فيه التّفعيلات داخل البيت الشعري»[2]

ومن خلال هذين التعريفين يتبين أن الوزن جزء من الإيقاع.

1- الموسيقى الخارجية:

أ- البحور الشعرية:

ويقصد بها مجموعة التّفعيلات التي تنتج عن كتابة البيت الشعري كتابة عروضية، ونقصد بالكتابة العروضية كتابة كلّ ما ينطق عكس الكتابة العادية التّي تقتضي كتابة ما ينطق.

والمعروف عن البحور الشعرية أنّها ستة عشر بحراً منها: الطويل، البسيط، الكامل، الوافر، الرّمل...إلخ، وكلّها بحور خليلية تنسب إلى "الخليل أحمد الفراهيدي" واضع علم العروض.

وقد نوّع "ابن الشاطئ" في توظيفه للبحور الشعرية بين البحور الصّافية والبحور المركبة، ونقصد بالبحور الصّافية تلك البحور التي تكون تفعيلاتها مكرّرة في شطري البيت الشعري صدره وعجزه أمّا المركبة فهي التي تخضع تفعيلاتها إلى الزّحافات والعلل.

---

[1]- علاء حسين البدراني: فاعلية الإيقاع في التصوير الشعري، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 1436هـ-2015م، ص 52.

[2]- المرجع نفسه، ص 53.

وهذا الجدول يوّضح لنا البحور المستعملة من طرف الشاعر:

البحور الشعرية	عدد القصائد المبنية عليه الجزء الأول	عدد القصائد المبنية عليه في الجزء الثاني	مجموع القصائد في الجزئين الأول والثاني
1- الكامل	04	08	12
مجزوء الكامل	20	31	51
2- البسيط	19	17	36
3- الخفيف	18	17	35
4- الوافر	05	10	15
مجزوء الوافر	01	01	02
5- الرمل	01	/	01
مجزوء الرمل	02	/	02
6- الطويل	01	/	01

من خلال معطيات الجدول يتّضح أنّ الشاعر اعتمد ستّة بحور شعرية في بنائه للقصائد المكوّنة لأعماله الكاملة بجزئيها الأول والثاني، وهذه البحور تتمثل في: الكامل، لبسيط، الخفيف، الوافر، الرّمل، الطّويل.

وكما هو مبيّن أمامنا فإنّ الشاعر ارتكز اعتماده على "مجزوء الكامل" فقد احتل المرتبة الأولى بمجموع 51 قصيدة في أعماله الكاملة ومن نماذج مجزوء الكامل يقول:

«مَاذاَ ! أُسَمّيهَا ...؟ ! ...مَنَارَه أَمْ تِلْكَ مُعْجِزَةُ الحِجَارَه...؟»[1]

ويقول أيضا:

«لاَ تُبْحِرِي قَدْ يُوغِلُ السّفَرُ وَيَغِيبُ في أمْواجِهِ البَصَرُ»[2]

[1]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج1، ص 23.

[2]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج2، ص 868.

وكما هو معروف فإنّ لكلّ بحر شعري مفتاحه الذي من خلاله تعرف تفعيلاته، فبحر الكامل مفتاحه: كل الجمال من البحور الكامل، وتفعيلاته: متفاعلن متفاعلن متفاعلن، فإذا جاءت هذه التفعيلات ثلاثة في الشّطر الأوّل ونفسها في الشّطر الثاني يسمّى بحر كاملاً تاماً، وإذا نقصت تفعيلة واحدة أو جزء منها يسمّى مجزوءاً.

فالشاعر جعل من إيقاع بحر الكامل المجزوء وعاءًا ليفرغ فيه قضايا وطنه وأحاسيسه، والمتأمل لتفعيلات الكامل المجزوء يلاحظ أنّ تفعيلة متفاعلن (0//0///) يصيبها زحاف الإضمار فتصبح مْتفاعلن (0//0/0/)، وهذا الزّحاف هو زحاف الإظهار وهو تسكين الثاني المتحرّك وهذا التنويع يتناسب مع حالته الشعورية.

«ومن صور الانزياح العروضي في شعر ابن الشاطئ، استحداثه صورة جديدة لبحر الكامل وهي مجزوء الكامل الأحذ وهذه الصورة نمط لم ينصّ عليه العروضيين»[1]

ومثال مجزوء الكامل الأحذ قول "ابن الشاطئ" في قصيدة بعنوان "لن يركع... الشجر.. !؟ .!

«**قَدَرٌ هُوَ القَدَرُ مَا رَاعَهُ السَفَرُ**»[2]

0///0//0/0/ 0///0//0///

متفاعلن متفا متفاعلن متفا

ومن خلال هذه القصيدة يكون «... ابن الشاطئ قد أدخل وزنا جديداً على العروض الخليلي»[3]

مزج "ابن الشاطئ" بين إيقاع الكامل التّام وإيقاع الكامل المجزوء، وإن كان المجزوء طاغيا على التّام، فمجموع قصائد الكامل التّام في الجزئين 12 قصيدة يقول ابن الشاطئ:

«**هَلْ تُنْجِبِينَ طَلِيقَةَ الأَهْـــدَابِ وَتُطَلِّقِينَ شَرَاهَةَ العَرَّابِ**»[4]

0/0/0/0//0///0//0/// 0/0/0/0 //0// /0//0/0/

---

[1]- محمد العربي الأسد: خصائص البنية الأسلوبية في شعر ابن الشاطئ، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب العرب الحديث، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة، الجزائر، 1437/1436هـ- 2016/2015م، ص 25.

[2]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج1، المصدر السابق، ص 345.

[3]- المصدر نفسه، ص 27.

[4]- المصدر نفسه، ص 49.

متْفاعلن متفاعلن متْفاعلْ متفاعلن متفاعلن متْفاعل

وإضافة إلى بحر الكامل استعمل الشاعر بحر البسيط وقد جاء في المرتبة الثانية بعده، وهو من البحور المركبة التفعيلات ومفتاحه: إنّ البسيط يبسط لديه الأمل: مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن.

وقد كان اهتمام الشعراء به كبير سواء في القديم أو حديثا في العصر المعاصر وأكبر مثال على ذلك شعر "ابن الشاطئ" الذي جاء جزء كبير منه على بحر البسيط فكان مجموع القصائد التي نظمت عليه 36 قصيدة في الأعمال الكاملة، وقد تنوعت تفعيلات هذين البحرين مخبونة ومقطوعة، فهناك 21 قصيدة عروضها وضربها مسها زحاف الخبن ومن أمثلة ذلك:

«**هَوِّنْ عَلَيْكَ ! وَرَاحَتْ تَنْتَشِي طَرَبَا وَتَزْرَعُ "المَلِكَ الضَّلِيلَ".. وَالعَجَبَا**»[1]

0///0/ /0//0 ///0 //0// 0/// 0//0/ 0/0// /0//0/0/

مستفعلن فعلن مستفعلن فعلن متفْعلن فعلن متفْعلن فعلن

فتفعيلات العروض والضّرب أصابها زحاف الخَبْنْ الذي هو حذف الثاني الساكن: فاعلن = فعلن

بالإضافة إلى زحاف الخبن هناك أيضا زحاف القطع والذي تمثل أيضا في تفعيلة العروض والضّرب ومثال ذلك قول الشاعر:

«**لاَ تَجْرَحِي أَبَدَا نَزِيفَ حُذَائِي حَتَّى أَعُودَ وَأَنْتِ تَحْتَ غِطَائِي**»[2]

0/0///0//0///0///0/ 0/0///0//0///0//0/0/

مستفعلن فعلن متَفْعلُ فاعلْ مستعلن فعلن متفْعلُ فاعلْ

وزحاف القطع هو «حذف ساكن الوتد المجموع وتسكين ما قبله»[3]

فاعلن = فاعلْ

---

[1]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج2، المصدر السابق، ص 565.

[2]- المصدر نفسه، ص 678.

[3]- هاشم صلاح منّاع: الشافي في العروض والقوافي، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط4، 2003م، ص 89.

والشاعر في هذا البحر لم يستعمل المجزوء منه كما في بحر الكامل؛ بل اقتصر استعماله على البسيط التّام.

واستعمل "ابن الشاطئ" بحر الخفيف كذلك وهو بحر له ثلاث تفعيلات في كلّ شطر من البيت الشعري ومفتاحه: يا خفيفا خفّت به الحركات، وتفعيلاته فاعلاتن مستفعلن فعلاتن، وقد نظم عليه "ابن الشاطئ" في أعماله الكاملة 35 قصيدة وكلّها جاءت على وزن الخفيف التّام الصحيح «ويعود سبب هذا الميل إلى إيقاع البحر الخفيف كثيرا ما يغري الشاعر بانسيابيته التي تقترب من الطّرح النثري، كالموضوعات الوطنية والسياسية التي هي محور موضوعات الشاعر في تجاربه الشعرية»[1]

إن السّمة التي يتميز بها بحر الخفيف والتي تتمثل في الانسيابية جعلت معظم الشعراء يلجؤون إلى تدوير البيت الشعري إلاّ أنّ: «ابن الشاطئ أبدى قدرة فائقة للتحكم في الوقفة الإنشادية نهاية الشطر؛ لذا لم يظهر التدوير في وزن الخفيف عند الشاعر إلاّ بنسبة قليلة»[2]

وهذا إن دلّ على شيء فهو يدلّ على براعة الشاعر وقدرته الفائقة.

ومن أمثلة بحر الخفيف:

«كُنْتُ أَخْشَى ... وَحَلَّ مَا أَخْشَاهُ كَيْفَ نَامَتْ عَلَى الدُّرُوبِ خُطَاهُ»[3]

0/0//0/ 0/0/0/0//0// 0/0/0//0/0//0/0//0/

فاعلاتن متفعلن فاعلْتن فاعلاتن متفعلن فعلاتن

ويقول أيضا:

«غَايَرَتْنِي الخُطَى وَسَدَّتْ لِجَامِي كَيْفَ أَمْشِي عَلَى دَمِي وَحُسَامِي»[4]

0// 0/0//0/ 0/0//0/0// 0/0/0//0//0/0//0/

فاعلاتن متفعلن فاعلاتن فاعلاتن متفعلن فعلاتن

---

[1]- محمد العربي الأسد: خصائص البنى الأسلوبية في شعر ابن الشاطئ، ص 45.

[2]- المرجع نفسه، ص 45.

[3]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج1، ص 330.

[4]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج2، المصدر السابق، ص 642.

مستفعلن ⟵ متفعلن حذف الثاني الساكن من مستفعل لتصبح متفعلن

فاعلاتن ⟵ فعلاتن ⟵ فاعلتن وهذا الزحاف هو زحاف الخبن، وقد سبق وأن أشرنا إليه في مواضع سابقة.

4- بحر الوافر:

هو من البحور التي استعملها الشاعر بنسب قليلة، فقد مزج بين الوافر التّام والمجزوء فكان مجموع قصائد بحر الوافر التّام هو 14 قصيدة في أعماله الكاملة أما المجزوء تمثل في قصيدتين.

ومفتاحه: بحور الشعر وافرها جميل مفاعلتن مفاعلتن فعولن

ومن أمثلة الوافر التام:

«**أَمَا تَزَالِينَ رَغْمَ البُعْدِ أَسْوَارِي بَرِيئَةُ الوَجْهِ.. أُنْثَى ... دُونَ أَوْزَارِ**»[1]

0/0/0//0/ 0/0/ /0/0//0// 0/0/0//0/0/0//0/0//0//

مفاعلاتن مفاعلْتن مفاعلْتن مفاعلاتن مفاعلْتن مفاعلْتن

ويقول أيضا:

«**تَرَى أَمَازِلْتِ مثْلَ الأَمْسِ تَهْوَانِي وَتَسْرُجُ الحَرْفَ مِنْ ظِلِّي وأَغْصَانِي**»[2]

0/0/0// 0/0/ 0// 0/0//0// 0/0/0/ /0/0/0/ /0/0//0//

مفاعلاتن مفاعلْتن مفاعلْتن مفاعلاتن مفاعلْتن مفاعلْتن

من خلال هذين البيتين يتّضح أنّ الشاعر لجأ إلى توظيف زحاف العصب وهو تسكين الحرف الخامس ويتمثل في تفعيلة:

مُفَاعَلَتُنْ (//0///0) = مُفَاعَلْتُن (//0/0/0)

[1]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج1، المصدر السابق، ص 294.

[2]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج2، المصدر السابق، ص 809.

وكان مجزوء الوافر يحتوي على زحاف العصب أيضا يقول الشاعر:

«**صَحَوْتِ .. وكُنْتِ فِي غَضَبِ ومَا أَفْصَحْتِ عَنْ سَبَبِ**»[1]

0///0//0/0/0// 0///0//0//0//

مفاعلتن مفاعلتن مفاعلْتن مفاعلتن

فتفعيلة مفاعلة أصابها زحاف العصب في الشطر الثاني، فأصبحت مفاعلْتن (0/0/0//)

ويقول أيضا:

«**لِماذَا أَنْتِ فِي بَالِي شَرَابِينِي وَأَغْلَالِي**»[2]

0/0/0//0/0/0// 0/0/0//0/0/0//

مفاعلْتن مفاعلْتن مفاعلْتن مفاعلْتن

هذا البيت من الوافر المجزوء وكل تفعيلاته أصابها زحاف العصب.

5- بحر الرمل:

وقد كان نصيب هذا البحر من التوظيف 3 قصائد في الجزء الأول فقط، أما الجزء الثاني فلم يعتمد عليه "ابن الشاطئ" على الإطلاق وقد اعتمد على مجزوء الرّمل في قصيدتين والرّمل التام في قصيدة واحدة، ومفتاحه: رَمَلُ الأبحر ترويه الثّقات، فاعلاتن فاعلاتن فاعلاتن.

ومن أمثلة مجزوء الرّمل:

«**جُرْحُكِ النَّازِفُ مِنْ صَدْ... ...رِي... كَمَا المَاضِي عَطَاءْ**»[3]

00//0/0/0//0/ 0/0///0/0//0/

فاعلاتن فعلاتن فا علاتن فاعلاتْ

---

[1]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج2، المصدر السابق، ص 809.

[2]- المصدر نفسه، ص 809.

[3]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج1، المصدر السابق، ص 369.

إنّ المتأمل لتفعيلات هذا البحر يجد أنه قد دخل عليها زحاف الخبن وزحاف القصر، فزحاف الخبن موجود في تفعيلة فعلاتن وهو كما قلنا حذف الثاني الساكن فاعلاتن (/0/0//0) = فعلاتن (/0/0///)، أما زحاف "القصر: هو حذف ساكن السّبب الخفيف وتسكين المتحرّك الذي قبله"[1]، ويتمثل في تفعيلة فاعلات (/00//0) بعد ما كانت على شكل تفعيلة فاعلاتن (/0/0//0).

وهناك قصيدة واحدة جاءت على بحر الرّمل التّام ومن أمثلة ذلك:

"وَإِذَا الشَّعْبُ عَلَى أَفْرَاسِهِ يَتَجَلَّى رَافِضا هَذَا البَغَاءْ"[2]

0//0/0/ 0// /0/0/// 00//0 /0/0//0/0/0///

فعلاتن فعلاتن فاعلن فعلاتن فاعلاتن فاعلاتْ

وهذا البيت قد جاءت تفعيلاته مزيج بين الخبن والقصر والحذف الذي هو: "حذف الّسبب الخفيف الأخير من "فاعلاتن" فتصبح "فاعلا" وتنتقل إلى "فاعلن""[3]

فالعروض في هذا البيت جاءت على شكل فاعلن التي أصلها فاعلاتن والخبن تتمثل في فعلاتن والقصر في فاعلاتْ.

6- بحر الطويل:

وقد تمثل هذا البحر في قصيدة واحدة ووحيدة في الجزء الأول من المجموعة غير الكاملة، فـ "ابن الشاطئ" لم يوظّف هذا البحر في الجزء الثاني من المجموعة غير الكاملة ومفتاحه: طويل له دون البحور فضائل: فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن.

وهذا البحر من البحور المركبة ويقول الشاعر:

---

[1]- هاشم صالح مناع: الشافي في العروض والقوافي، ص 161.

[2]- المرجع نفسه، ص 170.

[3]- المرجع نفسه، ص 160.

«يَقُولُونَ عَنِّي أَنَّنِـــي مُتَفَائِلُ وَإِنَّ هَوَاكِ الصَّعْبُ فِيَّ خَمَائِلِ»[1]

0//0///0//0/0/0///0// 0//0///0//0/0/0//0/0//

فعولن مفاعلين فعول مفاعلن فعول مفاعيلن فعول مفاعلن

فتفعلة فعولن أصابها زحاف القبض فأصبحت فعولُ وكذلك الأمر بالنسبة لتفعيلة مفاعيلن التي أصبحت مفاعلن والقبض هو «حذف الخامس السّاكن»[2]، مثل: مفاعلن: حذفت الياء في مفاعيلن وهو الحرف الخامس الساكن وكذلك تفعيلة فعولُ حذفت النون في آخر تفعيلة فعولن.

ب– القافية:

تعتبر القافية من الأمور المهمة التي يقوم عليها الشعر، وقد اختلف العروضيون في شأن تعريفها إذ: « قال الخليل: هي من آخر البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن ويراها الأخفش: آخر الكلمة في البيت (...) وثعلب يجعل من حرف الرّوي أي الحرف الذي يتكرر في آخر كل بيت من أبيات القصيدة قافية (...) ومن المحدثين إبراهيم أنيس الذي يقول في القافية : ليست القافية إلا عدة أصوات تتكرر في آخر الأسطر أو الأبيات من القصيدة »[3].

ويبقى الرأي الغالب في تعريف القافية رأي الخليل وكما هو معروف فإن الشعر هو الكلام الموزون المقفى؛ أي الذي له وزن وقافية فهما وجهان من وجوه الاختلاف بين الشعر والنثر والقافية تحدث نوعا من الموسيقى التي تجذب اهتمام القارئ وتشد انتباهه ما يمنح للنص الشعري القوة والمقروئية أيضا.

والقافية قسمان: مطلقة ومقيدة والمقصود بالأولى: المتحركة الرّوي والثانية الساكنة الرّوي.

إن المتمعن في الأعمال الكاملة لإبن الشاطئ يلاحظ أن شعره أغلبه ذو قافية مطلقة ونادرا ما يلجأ إلى القافية المقيدة، ومن أمثلة القافية المطلقة نذكر: إذ يقول:

---

[1]– ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج1، المصدر السابق، ص 63.

[2]– هاشم صالح مناع، الشافي في العروض والقوافي، المرجع السابق، ص 61.

[3]– عبد الرحمن تبرماسين: العروض وإيقاع الشعر العربي، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 1، 2003، ص 35.

« العنفُوانُ قَديمٌ في ذَوائبـــِها والكِبْرياءَ على أَحْداقِها قَدَرُ ...!!

عَادت تُعيدُ إلى الثُوارِ هيْبتَهُمْ ولا يُرَوِعُها بَغْيٌ ولَا خَطَرٌ »[1]

فالقافية في هذه الأبيات هي كلمة لا خضر (/0///0) مع إشباع حركة حرف الروي، فالروي هو حرف الرّاء وقد جاء متحركا بحركة الضم وما يناسبها هو الواو لإشباع حركته.

وقد وظف الشاعرالقافية المطلقة و المقيدة بأنواعها ليست جميعها لكنه وظف بعضا منها فنجده يقول:

«عَفَا عَلَيْهَا زَمَانُ الوَصْلِ وَانْدَفنتْ تحْتَ الرِّمالِ .. وقَدْ مَرَتْ بِلاَ أَثَرِ ... !

تَصَوري مَا يَقولُ العَصْرُ واحْتَكِمي للسيْفِ يَا أُمَ أَوْفَى /الرَّمزُ .. واستعري »[2]

فالقافية في هذه الأبيات هي: واستعري (/0///0) وهي قافية مطلقة مجردة من الردف والتأسيس موصولة بحرف مد هو الياء والرّوي هو حرف الراء وهو متحرك مشبع بحركة الكسرة.

ويقول أيضا:

« وَكَوْكَبَتْ لُغَةُ الرشاشِ وَاقعَنا في الخَافقينَ ومَا لاَحت لِمُغْتَصبِ

هيَ الشَهَادةُ زَكِيْنَا جَنَائِنهَا فأمطَرَتْ لَهبًا في القُدسِ والنقَبِ »[3]

القافية هي: والنقب، ونْنقَبي (/0///0) والروي هو الباء مع إشباع حركته بالكسرة وهي قافية مطلقة مجردة من الردف والتأسيس موصولة بحرف مد هو الياء.

كما نجد ابن الشاطئ قد وظف القافية المطلقة المردوفة الموصولة بالمد ومن أمثلة ذلك:

« وأزهَرَتْ في دمِي الأَحجارُ معلنَةً عني .. وكانتْ يَدي الطُولى وحيْفائِي

إنِّي لأُقسِمُ ياسمراءً مـــــا عرفَتْ سَبَابتِي النُورَ إلاَّ منْكِ .. سَمرائِي ..!! »[4]

---

[1]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة ج1، المصدر السابق، ص 37.

[2]- المصدر نفسه، ص 152.

[3]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة ج2، المصدر السابق، ص 738.

[4]- المصدر السابق، ص 410.

القافية في كلمة سمرائي هي: رائي(/0/0) والروي هو الهمزة قبلها حرف مد هو الألف ويسمى ردفا، وبعده حرف وصل هو الياء فهي قافية مطلقة مردوفة موصولة بحرف الياء وفي السياق ذاته يقول:

«حَانَ الأوَانُ بأَنْ أثُو بَ مُجددً وبـأَنْ تثُوبِي

مَا عادَ ذُلُ الصمتِ يَدْ ينينَا أُحِبُكِ فاسْتجِبي » [1]

القافية في فاستجيبي: جيبي (/0/0) حرف الروي هو الباء قبله حرف مد هو الياء يسمى ردفا وبعده حرف وصل هو الياء فهي قافية مطلقة مردوفة موصولة بحرف الياء، وإلى جانب القافية المطلقة فالشاعر لم يغفل على توظيف القافية المقيدة وإن كان توظيفا محتشما ويذكر في هذا الصدد:

« أُمُّ أَوْفَى.. لا تكـــونِي مُطْلقًا بَغْلةَ العُرسِ .. ولا عِطْرَ النسَاءْ

واسْكُني عُمقي .. وُجُودي دائمًا فأنا أَعـــــشَقُ أنهَارَ الضِيَاءْ » [2]

والقافية في أنهار الضياء: والضياء (/00//0) الروي هو الهمزة الساكنة مسبوقة بحرف مد هو الألف وهي قافية مقيدة مردوفة، فحرف الألف هو الردف وهو حرف ساكن.

ويقول ايضا:

«وَأنَا وغَالِيَتِي عَلَى جَفْنيْكِ ميلادُ عَسِيرْ

يتوَهَجُ الأمَلُ المَزَعْ فَرَ فيه والرَّفضُ المَطيرْ » [3]

والقافية في كلمة الرفض المطير: ض لمطير (/00//0) فالروي هو الراء الساكنة مسبوق بحرف مد هو الياء وهي قافية مقيدة مردوفة بحرف الياء.

---

[1]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة ج2، المصدر السابق، ص 850.

[2]- ابن الشاطئ المجموعة غير الكاملة ج1، المصدر السابق، ص 176.

[3]- المصدر السابق، ص ص 1083،1082.

ج- الرّوي:

وهو الحرف الأخير في البيت الشعري، والعمود الفقري للقصيدة فهو الأساس الذي تبنى عليه.

وكما هو معروف فإن الرّوي هو أحد حروف القافية، يعتمده الشاعر في بناء قصيدته من أولها إلى آخرها وهذا الأمر ينطبق على الشعر العمودي، والقصيدة تنسب إلى حرف الروي الذي ترتكز عليه مثل قولهم: سينية البحتري، ميمية المتنبي معنى هذا أن البحتري اعتمد حرف السّين في قصيدته وكذلك الأمر بالنسبة للمتنبي فقد استخدم حرف الميم كأساس تقوم عليه قصيدته[1].

وقد اعتمد ابن الشاطئ على حروف عدّة في أعماله الكاملة كرّوي لقصائده العديدة وسنحاول أن نبين الحروف المعتمدة من خلال هذا الجدول:

حرف الرّوي	عدد القصائد في المجموعة غير الكاملة ج1	عدد القصائد في المجموعة غير الكاملة ج2
الرّاء	16	16
الميم	03	05
الباء	15	12
اللاّم	08	09
الدّال	06	10
الهاء	03	02
الهمزة	09	07
الكاف	02	01
النون	05	09
الحاء	01	02
القاف	03	07
الفاء	/	02
العين	/	01

[1]- ينظر: أحمد بزيو: الموسيقى في الشعر الثوري (مفدي زكريا-أنموذجا)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في اللغة العربية وآدابها، تخصص أدب عربي، جامعة الحاج لخضر- باتنة 1، الجزائر، 2016-2017، ص 47.

من خلال معطيات هذا الجدول يتضح أن الشاعر اعتمد على مزيج من الحروف لتكون رويا لقصائده فقد اعتمد ثلاثة عشر حرفا إلا أن هناك تفاوت في استعمالها والحروف التي استخدمها هي: الرّاء، الميم، الباء اللاّم الدّال، الهاء، الهمزة، الكاف، النون، الحاء، القاف، الفاء، العين.

نلاحظ أن حرف الرّاء والباء في أعماله الكاملة بجزأيها الأول والثاني لها حضورا قويا وطاغيا على غرار الحروف الأخرى، إذ احتلا الصدارة في الترتيب ثم تأتي في المرتبة الثانية كل من الحروف التالية بنسب متقاربة: اللاّم، الدّال، الهمزة، النون، القاف، لتأتي الحروف المتبقية في المرتبة الأخيرة وهي: الميم، الهاء، الكاف، الحاء الفاء، العين.

إن توظيف الشاعر لهذه الحروف وارتكازه عليها ليس بمحض المصادفة بل إن الموقف الذي يعيش فيه والأحداث التي حوله هي التي فرضت ذلك، فلكل موضوع من المواضيع حروفه الخاصة به وألفاظه، والشاعر عند استعماله لحرف الباء والرّاء هذا بسبب أن حرف الرّاء "حرف مجهورا متوسط الشدة والرخاوة ... يدل على التحرك والتكرار والترجيع، وعلى الرقة والنضارة والرخاوة وعلى الفزع والخوف وعلى الثبات والاستقرار والربط وضم الأشياء" [1].

أما حرف الباء فهو حرف انفجاري يتناسب مع قوة ألفاظ الثورة.

إن كل الألفاظ التي تحتوي على الحروف المبنية عليها القصائد الشعرية لها دلالاتها ولكل حرف دلالته التي تختلف عن دلالة الحروف الأخرى.

2- الموسيقى الداخلية:

وكما سبق الحديث عن الموسيقى الخارجية في ثنايا الأعمال الكاملة لابن الشاطئ فهناك بالضرورة الموسيقى الداخلية والمتمثلة في: الجناس، التكرار، التصريع، التدوير.

[1]- أحمد بزيو: الإيقاع الموسيقي في الشعر الثوري (مفدي زكريا-أنموذجا)، مرجع سابق ص ص 51، 52.

أ– الجناس:

هو أحد عناصر الموسيقى الداخلية للنص الشعري وهو توافق الكلمتين وتشابههما لفظا أو كتابة واختلافها في المعنى والجناس نوعين: جناس تام وهو ورود مفردتين لهما نفس الحروف والشكل واختلافهما في المعنى أما الجناس الناقص فهو ورود لفظتين تختلفان في حرف من الحروف أو في الشكل.

وقد اعتمد ابن الشاطئ إيقاع الجناس في أعماله الكاملة بكثرة ومن أمثلة ذلك قوله:

« كَمْ مَرّةً عَصَفَت ومَا وَهَنَتْ وتَحَرَرَت أُمَمُ وأمْصَارُ

وتَسَاقَطَتْ نُظُمٌ مُبَـــرْمَجَةٌ وتَهَاطَلَتْ فِي الدَارِ أمْطَارٌ » [1]

ففي الكلمتين: أمصار–أمطار جناس وهو ناقص فالكلمتين تختلفان في حرف الصاد والطاء.

وقوله كذلك:

« وَتَنُوس مُتْرفَةً عَلَى جَفْنَيْكِ بَـــارعَةَ الوُصُولِ

وَاَنَا عَلَى حَدِّ الجِرا... حِ أَسيرُ مُخْتَلِجَ النُّصُولِ » [2]

فالكلمتان الوصول والنّصول جناس ناقص

ويقول أيضا:

« وعلَى مرايا الشوق ذاكرة مَوّارة الأبعاد والنسق

كَانَتْ ومَازَالَتْ ضُحًى ويدًا عَلِيًّا تَصْفَي قامة الغَسَقِ! » [3]

إن لفظتي "النسق" و"الغسق" تختلفان معنا وكتابة، فهما جناس ناقص وذلك جرّاء اختلاف الكلمتين "النسق والغسق" فهما تتباينان في النون والغين.

---

[1]– ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة ج1، ص 39.

[2]– المصدر نفسه، ص 154.

[3]– ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة ج2، ص 891.

ويقول أيضا:

« **أنَا قد أكون ولا أكون أيشُدُّ هيْبَتَكِ الجنونُ ..؟؟**

لسْنَا كمَا كنَـا .. ويكـ ـفيكِ التأفّف والظنُون »[1]

إن لفظة "الجنون و "الظنون" جناس ناقص لاختلاف المعنى وطريقة الكتابة.

ب- التكرار:

هو أحد التقنيات التي اعتمدها الشاعر بقوة في ثنايا شعره فلا تخلو أي قصيدة إلا وقام بتكرار لفظة أو حرف أو حتى عبارة في موضع أو عدة مواضيع مختلفة.

إن «التكرار تقنية من التقنيات الحيوية التي يستدعمها الشاعر المبدع لا شيء إلا لتعميق معانيه وترسيخها في ذهنية المتلقي، بحيث يشكل التكرار نسقا تعبيريا في بنية الشعر التي يقوم على تكرير السمات الشعرية ومعاودتها في النص» .[2]

والتكرار من الظواهر اللغوية والأسلوبية التي كان لها حضورا قويا في شعر ابن الشاطئ ولا يقتصر الأمر على تكرار الكلمة فقط بل حتى الحروف والعبارات ومن أمثلة ذلك قول الشاعر:

« **تَذْكُو الأعَاصِيرُ في صَـــدْرِي وتَنْفَجِر يا حَادِيَ العِيسْ غِيلَ السَّمعُ والبَصَرُ**

يا حَادِيَ العِيسْ...!!! هل مرت قوافلنا يوما؟ وهل ضحكت في رملها العصر؟ »[3]

فالتكرار هنا في عبارة: "ياحادي العيس" فالشاعر في موقف الخطاب فهو يخاطب شيئا ما و يسائله عن الماضي.

وقوله أيضا:

---

[1]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة ج2، المصدر السابق، ص694.

[2]- أحمد بزيو: الموسيقى في الشعر الثوري (مفدي زكريا أنموذجا)، ص 87.

[3]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة ج1، المصدر السابق، ص 28.

«**أَأَنت.. أنت طويل العمر..؟ وا أسفي عليك.. ماذا جرى؟ هل ينحني الشَجر؟** »[1]

استعمل الشاعر ضمير المخاطب "أنت" وذلك للدلالة على فلسطين.

وقوله أيضا:

«**وَاسْكُنِيني هَوى كبيرًا .. كبيرًا وتعري في معطيات اعتقَادِي** »[2]

التكرار هنا كلمة "كبيرا" للدلالة على حبّه لزوجته العميق.

وهنا تكرار أيضا في قوله:

« **أبقى أصيلا .. أصيلا .. لا أبيعُ يدًا ولا أَدف استحضَرْتُ من حجدا** »[3]

التكرار في لفظة أصيلا دلالة على أصالته وعدم التخلي عن هويته وكرامته.

وقال أيضا:

« **سَأَلْتُ عينيْكَ هل يشتَاقُنا السفر وهل يُعَشِّشُ في أهدابِهِ الحَذَرُ ..؟؟**

سألتُ عينيكَ عنْ حُبٍ تُطالِعُه حرارةُ الشَوقِ والأيامِ تعتصرُ »[4]

فالشاعر قد كرر جملة "سألتُ عينيْكَ" في شكل استفهام وكأنه يريد إجابة.

وقال أيضا:

«**مضت ثَلاثَة أَعوامٍ مشْبَعَة بالمَدِّ والجزرِ .. والآهات تستعير**

مضت ثلاثَةُ أعوام ونحن هنا نحـــاور الزمن الغافي ونصطَبِر »[5]

---

[1]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة ج1، المصدر السابق، ص 34.

[2]- المصدر نفسه، ص 81.

[3]- المصدر نفسه، ص 337.

[4]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة ج2، المصدر السابق، ص 1041.

[5]- المصدر نفسه، ص 1045.

الشاعر قام بتكرار جملة "مضت ثلاثة أعوام" فهو يخبرنا بالواقع الماضي الذي كان يعيشه هو وشعبه من معاناة واضطهاد إلى جانب الواقع الحاضر الواقعان، ورغم مرور الزمن بقي حالهما كالحال الأول لم يتغير فيهما أي شيء.

ج- التصريع:

وهو اتفاق آخر جزء من الكلمة في نهاية الصدر مع نهاية آخر جزء من العجز، وهذه الظاهرة غالبا ما تكون في أول البيت الشعري، وما أكثر ورود هذه الظاهرة في الأشعار قديما وحديثا لما لها من فائدة فهي تترك انطباعا رائعا لدى السامع أو المتلقي وهي التي تشد القارئ إلى تكملة ما يقرأ أو ما يسمعه، فهي تترك أثرا موسيقيا تستسيغه أذن السامع أو المتلقي. والتصريع «عند علماء العروض "إلحاق العروض بالضرب وزنا وتقفية سواء بزيادة أو نقصان"»[1]

وما أكثر ورود هذه الظاهرة في شعر ابن الشاطئ إذ يقول:

« **يَقُولُون عَنّي أَنني متفائل وإن هواكِ الصّعب في خمَائِل** »[2]

بنية التصريع هنا من خلال العروض (متفائل) والضرب (خمائل) ويتجسد في حرف اللام.

وقوله أيضا:

«**إنِّي هُنَا أبدًا حسامُ وعلى يدي البدر التمامُ** »[3]

فحرف الميم: هو التصريع في هذا البيت من خلال لفظتي "حسام" و"التمام" .

ويقول أيضا:

« **لا تيأَسي .. أو تستريبي إني سَأَحضُرَ عن قريب** »[4]

---

[1]- إبراهيم لقان: ملامح المقاومة ضد الاستعمار في شعر محمد العيد آل خليفة (دراسة فنية)، مذكرة ماجستير في أدب الحركة الوطنية الجزائرية، جامعة منتوري قسنطينة الجزائر، 1427-1428هـ، 2006-2007م، ص 189.

[2]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة ج1، المصدر السابق، ص 63.

[3]- المصدر نفسه، ص 234.

[4]- المصدر نفسه، ص 502.

فـ"تستريبي" و "قريب" يبنهما تصريع من خلال حرف الباء التي تشتركان فيه.

د- التدوير:

من الظواهر الأسلوبية شأنه شأن التكرار والجناس..إلخ، والتدوير متعلق بالبيت الشعري فالبيت المدوّر هو: «البيت الذي تحوى مكوناته الداخلية كلمة تصبح شريكة بين قسمين »[1]

بمعنى أن هذه الكلمة الذي مسها التدوير جزء منها يكون في الشطر الأول من البيت (الصدر) والجزء الثاني منها في الشطر الثاني من البيت (العجز).

ومن أمثلة التدوير في شعر ابن الشاطئ يقول:

« **جرحُكِ النازف من صدْ ... ... ري ... كما الماضي عطاءْ** »[2]

فكلمة صدري جاء جزء منها في الشطر الأول وجزء آخر في الشطر الثاني.

وقوله أيضا:

« **أشتهِي فِنْجانكَ الآ ... ... ن ..عَسَى يشْفِي الغَلِيلاَ .. !!** »[3]

فلفظة الآن جاءت منقسمة بين شطري البيت الشعري.

وقوله أيضا:

« **لا تعبري حدّ الشُعُو ... ... رِ..!؟ هناك ينكشف الغطاء** »[4]

فهذا البيت الشعري جاء مدورًا من خلال لفظة الشعور.

إن الشاعر أثناء توظيفه للأساليب الأسلوبية من جناس ، تكرار .. إله ليس عبثا، بل لما تحمله من جماليات وفنية تضيفها على الشعر وتزيد من روعته فـ« ... التكرار في الشعر الحديث (...) يحمّلهُ الشاعر مهمة جديدة في

---

[1]- خضر عبد الرحيم أبو العينين: أساسيات علم العروض والقافية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط 1، 2010، ص 82.

[2]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة ج1، المصدر السابق، ص 369.

[3]- المصدر نفسه، ص 262 .

[4]- المصدر نفسه، ص 518.

التعبير تمنح من خلاله القصيدة أبعادا شعورية وإيحائية وإيقاعية ترفع من قيمتها (...) فانتشار ظاهرة التكرار وشيوعها (...) في الشعر المعاصر ترجع إلى دوافع فنية يؤديها التكرار محملة بالدلالات الشعورية والنفسية والإيحائية »[1]. وكذلك بالنسبة إلى التدوير فهو: .« ... إحساس بكسر التكرار الشطري، كي يبتعد الإيقاع عن الرتابة والتكرار، وفي هذا الكسر إثراء للإيقاع الداخلي كي يكون سبيلا لحرية الإبداع»[2]

إن توظيف الشعراء لظاهرة التكرار والتدوير وكذلك التصريع والجناس لا يقلل من شأن الشعر بقدر ما يزيده رُقيًّا، فالتكرار يزيد الشعر قوة ومعنى وتأكيدا عليه، فمن خلال هذه الظاهرة تتضح الدلالات الرمزية للقارئ ويستطيع فهمها وإن كان التكرار يعكس جانبا من شخصية الشاعر فهو يضيف جمالية ورقي للشعر. أما عن الجناس فهو كذلك له دور بارز في توضح معاني الشعر من خلال فهم الألفاظ ودلالاتها، وبالنسبة للتدوير كظاهرة أسلوبية فهو يعطي للقصيدة شكلا جديدا مغايرا لما اعتاد عليه الشعراء من قبل والابتعاد عن الرتابة وما هو مألوف للخروج إلى ما هو مبتكر وجديد. وتقنية التصريع من الظواهر الأسلوبية التي تبرز فحولة الشاعر وقدرته الإبداعية، فهو معيار لقياس كفاءة الشاعر.

فهذا الأمور الربعة "الجناس، التكرار، التصريع، التدوير" وإن كانت تبدو لسامعها بسيطة وتافهة إلا أن الأثر الذي تضيفه للشعر لا يمكن أن يعوض مهما كانت نوع الأساليب الموظفة فلها جمالية يعكسها الشاعر ولا يمكن الاستغناء عنها.

[1]- فيصل حسان الحولي: التكرار في الدراسات النقدية بين الأصالة والمعاصرة، دار اليازوري العلمية للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، د ط، 2005م ص 91.

[2]- أحمد كشك: التدوير في الشعر-دراسة في النحو والمعنى والإيقاع، دار غريب للطباعة والنشر و التوزيع، القاهرة، مصر، د ط، 2004م، ص 140.

3- الصورة الشعرية:

لقد تعددت التعاريف حول الصورة الشعرية في الدراسات النقدية الحديثة، وهذا يوحي بصعوبة وضع مصطلح جامع مانع لها، لقد تعرّض لها النقاد العرب القدامى تحت مسمى وهو "التصوير" وقد أشار إلى ذلك الجاحظ في تقديم تعريف للشعر بقوله: « فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسيج و جنس من التصوير »[1].

وبهذا كانت الصورة الشعرية قديما مرتبطة بمعنى التصوير أما في العصر الحديث فقد اشار إليها "عبد الملك مرتاض" في تعريف يقول: "هي شيء يجنح إلى تقريب حقيقتين متباعدتين » [2].

ومن ثمة يكون هدف الصورة الشعرية تحقيق معنى وتبليغه للمتلقي من خلال الإعتماد على الخيال، ومن هذا المنظور فإدراك الصورة ليس بالأمر السهل، إذ أنها تتطلب تذوقا شعريا وإحساسا مرهفا إذ أنها تمنح الشعر مكانة عليا يكون عندها الأقدر على التعبير.

أما السعيد الورقي فقد أورد تعريفا للصورة الشعرية بقوله: « فالصورة في الشعر ليست إلا تعبيرا عن حالة شعورية معينة يعانيها الشاعر إزاء موقف معين من مواقفه مع الحياة » [3].

فالاحتكاك بالواقع عاملا مهما في تشكيل الصورة وخلقها من خلال جعل المعنى المراد يربط الخيال والواقع معا.

من جملة التعريفات السابقة الذكر يمكننا القول أن الصورة الشعرية هي الوعاء الذي يسكب فيه الشاعر مختلف تجاربه الشعرية وما يختلج في نفسه من إحساسات وخيالات.

فالصورة تحدد مدى نجاح الشاعر في نقل تجربته الشعرية كما عاشها بتعبير صادق وإحساس مرهف.

لقد حفل شعر ابن الشاطئ بالصور الشعرية العديدة، فهذا بالضرورة يتماشى ونفسيته، فقد استطاع أن ينقل مختلف تجاربه الشعرية وخاصة تلك التي ترتبط بقضية وطنه.

---

[1]- أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، ج 3، دار الجيل بيروت، لبنان، ط1، 1356هـ/1938، ص 132.

[2]- عبد المالك مرتاض: بنية الخطاب الشعري (دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمانية)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، د ط، د س، ص 49.

[3]- السعيد الورقي: لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية"، ص 90.

ولا بد من الإشارة إلى أن الصورة الشعرية تضم في ثناياها البيان وأنواعه من: استعارات وتشبيهات وكنايات ومجازات فكل نوع له أثره الخاص في الخطاب الشعري، فهي تشكيل تجعل من النص نصا متماسكا واضح الرؤى وبناءا على هذا سندرس ملامح الصورة الشعرية في الأعمال الكاملة لابن الشاطئ والمتعلقة بالثورة والحنين في شعره:

أ- التشبيه:

يعد شكلا من أشكال البيان، وقد استخدمه العرب قديما وحديثا والتشبيه بذلك « علاقة مقارنة بين طرفين لاتحادهما أو اشتراكهما في صفة أو حالة أو مجموعة من الصفات والأحوال » [1].

وبهذا كان الغرض من التشبيه زيادة المعنى وضوحا وتأكيده و خلق الصورة في ذهنية المتلقي. وللتشبيه أركانه: المشبه، المشبه به، أداه التشبيه ووجه الشبه.

استخدم ابن الشاطئ التشبيه خلال التعبير ونقل وقائع قضيته وكذلك في وصف مرارة الغربة وحنينه إلى الوطن.

فهو يقول مخاطبا ثورته:

« **وكأنها فِي الكَوْنِ مُفْرِدَةً لا ترْعَـوي ... وكَأنَهَا قَدَرُ .. ؟!؟**

لِمَ لا تُؤذِنُ ..؟ فالجهَادُ يدٌ طُولَى .. وسَيفُ الحَقِ مُقْتدِرُ ..؟؟ » [2]

من هذه الأبيات الشاعر يخلق لنا صورة الجهاد في اليد، حاذفا في ذلك أداة التشبيه، فالمشبه هو الجهاد والمشبه به: يد ويطلق على هذا النوع من التشبيه بـ: التشبيه البليغ.

وفي موضع آخر يستحضر لنا الشاعر صورة جميلة يقول:

« **عَلَى أرقامِ كَفيْهَا لنَا صوَرٌ مهزوزَةٌ ... ودمٌ كالمَاء يندفقُ** » [3]

---

[1]- عبد العزيز عتيق: علم البيان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د ط، د س، ص 203.

[2]- ابن الشاطئ المجموعة غير الكاملة ج2، ص 743.

[3]- المصدر نفسه، ص 749.

يواصل الشاعر تصوير مآسي ثورته واستمرارية معاناة شعبه ففي هذه الصورة يشبه الشاعر الدم بالماء وهذا لكثرة تدفقه فكانت لفظة "يندفق" وجه الشبه بين الماء والدم، وهي تحيل إلى الغزارة والكثرة، كما نلمح في هذا التشبيه أنه استوفى جميع أركانه فهو إذن: تشبيه تام.

تتواصل مسيرة الشاعر في خلق صورة دالة على حالته النفسية إذ أن صور الثورة ومعانيها تزداد كلما تعمقنا أكثر، أما الحنين باعتباره غرضا شعريا استولى على قصائد الشاعر، فقد أبدع من خلاله في نقل ألم غربته ونقل لوعة الشوق إلى وطنه.

يقول:

« **يُقَولبُ الشوقُ معْتدًا ومنتفِخًا كالدِيكِ .. والنِفطُ في سروالِهِ شُقَقُ** »[1]

فالشوق هو أنيس الشاعر في غربته، فهو يصور شعور الشوق في صورة الديك، فكان وجه التشبيه بينهما في الاعتداد والتعالي ومن هذا المنطلق كان المشبه هو الشوق والمشبه به: الديك، وأداة التشبيه هي: الكاف، ومنه فهذا النوع من التشبيه هو: تشبيه مفصل.

وفي وصف المرأة والحنين إليها، فكانت سعاد هي رمزه، فقد نالت حظ وافر من شعره، وقد تعدد الصور التي خلقها الشاعر لزوجته، فهو جسدها بمختلف ملامحها ومواصفاتها، يقول واصفا توقه للقائها:

« **قَدْ عبَرَتْ الذكرى .. وخلّفْتُ حُبي خَلفَ ظهرِي .. وَعُدتُ دونَ (سُعادَ)**

إنهَـــا مُهْرتي .. وزَهـــــرةُ عمْري وعَلَى صَـــدْرهَا الحنُونَ وِسادَتِي »[2]

فقساوة الظروف فرضت على الشاعر التخلي على أعزّ الناس إلى قلبه، فسعاد من خلال هذين البيتين مهرة. فقد جمع الشاعر في التشبيه بين طرفين هما: المشبه:سعاد والمشبه به: مهرة أما وجه الشبه بينهما: فيكمن في المصاحبة والمودّة التي تجمع بين الزوج وصاحبته.

[1]- ابن الشاطئ المجموعة غير الكاملة ج2، المصدر السابق، ص 743.

[2]- المصدر نفسه، ص 704.

ب– الإستعارة:

تعد شكلا من أشكال البيان، وقد ذكر عبد القاهر الجرجاني تعريفا لها بقول: « أعلم أن "الإستعارة" في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه أختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل وينقله إليه نقلا غير لازم »[1]

يحيلنا هذا التعريف إلى أن الإستعارة هي نوع من المجاز إذ تعتبر عمود الشعر لأنها تساهم في رسم مختلف التجارب الشعرية بصور فنية، تعبر بالضرورة عن قدرة الشاعر وحدقه.

يقسم علماء البلاغة الاستعارة إلى قسمين هما: الاستعارة المكنية والإستعارة التصريحية، فالأولى يحذف فيها المشبه به مع ترك قرينة دالة على المشبه، أما الثانية يحذف فيها المشبه ويصرح بالمشبه به.

والجدير بالذكر، أن ابن الشاطئ أكثر من توظيف الاستعارة المكنية فهي تفوق الاستعارة التصريحية بأضعاف مضعفة ومن ثمة يحتل المشبه المرتبة الأولى، ثم يأتي المشبه به في المرتبة الثانية، وهذا يدل على أن ثورة الشاعر خرجت عن صمتها، لتثبت حضورها وتفوقها من خلال التصوير والتشخيص.

وتستمر حرارة الثورة لدى الشاعر ويتجدد اللفظ والمعنى لديه في كل تجربة شعرية يمر بها فهو يستحضر لنا لفظة الدم والتي توحي بمعنى من معاني الثورة في صورة جميلة معبرة يقول:

« **وَدَمِي يَشرُب الزَمانَ بُراقًا يتجلَى .. وَصَحوةً لا تَزُولُ** »[2]

هذه الصورة توحي بأن صمود الشاعر ليزال قائما وثائرا حيث نجده شبه الدم بالإنسان الذي يشرب الماء فحذف المشبه به وهو الإنسان وأبقى لازم من لوازمه وهو "يشرب" على سبيل الاستعارة المكنية وهذا زاد المعنى قوة، ويقول أيضا في موضع آخر:

---

[1]– عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ/2001م، ص 31.

[2]– ابن الشاطئ المجموعة غير الكاملة ج1، ص 426.

« أفرغت كأْسَ الصبرِ في وَحلي منـــتكِب بعْـــــدِي ومَؤتزرَا

وعَلَى أصابع صَحوتي انبعَثت شمسُ الرُؤى وتناسَلَتُ عِبَرَا »[1]

وتتجلى الصورة هنا في أن الشاعر شبه الصبر بالماء وهو شيء مادي بشيء معنوي، وترك لازما من لوازمه وهو "أفرغت كأس" على سبيل الاستعارة المكنية.

فصحوة الشاعر لم تشف غليله، فقد صور متعددة بمعان جديدة عن وطنه فلسطين، مبينا عن حرقته التي تكابده ليلا ونهارا يقول:

« يَتَدفقُ الوِجدانُ منْ أوْصـالهَا والمعْطَياتُ تَصوغُها استثنَاءُ

وعلى أصابع شوقها غَزل الهوى فيروزهَا .. وتنفُس الصُعداءُ »[2]

ومن هذه الأبيات نلتمس مدى قوة هذه الصور وعمقها، إذ أن الشاعر يشبه شيء معنوي وهو الوجدان بالشيء المادي وهو الماء وترك لازما من لوازمه على سبيل الاستعارة المكنية.

أما في البيت الثاني فالشاعر يظهر لنا أحاسيس الحنين في صور تكون قديمة ومتناسبة مع وجدانه ونفسيته حيث شبه الشوق بالإنسان له "أصابع" وفي نفس الشطر يقول (غزل الهوى) على سبيل الاستعارة المكنية، فهو شبه الهوى وهو معنوي بشيء مادي وهو النسيج، لينتقل بنا عبر صور جميلة متظافرة ومنسجمة زادت المعنى قوة وصلابة.

إن التعالق الدلالي في الخطاب الشعري له دورا كبيرا في تحقيق انسجام واتساق الصور البيانية التي تبرز حدق الشاعر الذي يدفع المتلقي إلى الغوص في أبحر معانيها.

أما بالنسبة للنوع الثاني من الاستعارة، فقد لجأ الشاعر إلى توظيفها وهذا لتوكيد المعنى وتقويته، ونستحضر نماذج للإستعارة التصريحية في معرض حديثنا يقول:

---

[1]- ابن الشاطئ المجموعة غير الكاملة ج2، ص 615.

[2]- المصدر نفسه، ص 637.

« **أَوَ لَسْت وَاحات النَّخِيل .. ومُهْرَة عَرَبِية بعَثَت شُمُوخ فَضَائي ..؟؟** »[1]

يوجه الشاعر هذا البيت في وصفه لفلسطين، ونلتمس من خلال البيت وجود صورتين، فتتمثل الأولى في قوله: " أو لست واحات النخيل" فهي استعارة تصريحية شبه من خلالها الشاعر مخاطبه وهي فلسطين بواحات التخيل، فحذف المشبه وصرح بالمشبه به وأبقى قرينة دالة عليه، ومانعة من ورود الفعل الحقيقي وهي: "بعثت شموخ فضائي"، والجامع بينهما هو العلو والرفعة على سبيل الاستعارة التصريحية، فكان الغرض منها زيادة المعنى دلالة وترصيع الكلام بجودة البيان.

ويقول في موضع آخر:

«**الآن أَدْرَكْت الحقِيقَة أنت يا فَرَسَ الجِهَاد برَاءَة الصَحْرَاءِ .. !!** »[2]

تتمثل الصورة التي استحضرها الشاعر في هذا البيت من الشعر في قوله "فرس الجهاد" فقد أطلق هذه السمة على موطنه فلسطين، فلشبه فيها ثورة فلسطين بفرس الجهاد، منتقلا في ذلك من تشبيه شيء معنوي بشيء مادي، فحذف المشبه وهو "ثورة فلسطين" وصرح بالمشبه به وهي "الفرس" وأبقى على أحد لوازمها وهي خوض غمار الحروب أي الجهاد، فكان غرض الشاعر من هذا التوظيف إضافة المعنى من خلال حسن اختيار الألفاظ الجزلة وتدعيم الكلام متانة.

[1]- ابن الشاطئ المجموعة غير الكاملة ج2، المصدر السابق، ص 683.

[2]- المصدر نفسه، ص 686.

ج- الكناية:

من بين التعريفات التي قدمها البلاغيون للكناية منها « لفظ أطلق وأريد به لازم معناه، مع جواز إرادة المعنى »[1]

وفي تعريف آخر الكناية « أن يريد المتكلم معنى من المعاني فلا يذكره باللفظ الموضوع في اللغة، ولكنه يجئ إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ إليه ويجعله دليلا عليه »[2]

من خلال التعرفين السابقين يمكننا القول: أن الشعراء بصفة عامة يلجؤون إليها من أجل التلميح إلى المعنى المراد تحقيقه مع زيادة إثباته وتوكيده مما يدفع بالمتلقي إلى اكتشاف هذا المعنى المراد.

وتشمل الكناية بدورها على أقسام وهي: كناية عن صفة، كناية عن موصوف، كناية عن نسبة.

في دراستنا هذه سنحاول استخراج أهم الصفات التي أطلقها الشاعر خاصة على العدو الغاشم وثورته بشكل عام.

لقد أكثر الشاعر من توظيف النوع الثاني من الكناية وهي الكناية عن الموصوف وتنطبق على العدو من أقواله:

« لَمْ أُدْرِكْ كيْفَ تَرَجلت في لَحْظة لُغَة الرَصَاصِ .. وأَصْبحَت تَقبِيلا .. ؟!!

وتَسَابقُ الأقْزَامُ في مقهَى الدُجَى وَاسْتَمْطَرُوا التَمْـــــويهَ والتَضلِيلاَ

هَذَا يُنَـــدِدُ والعُـــــوادُ سَبيلَهُ أَبَدَا .. وذاك يُمَـــارِسُ التدْجِيلَا »[3]

مع التحام هذه الأبيات نلمس صورة متكاملة تتحدد همجية وظلم الكيان الصهيوني، فالشاعر استخدم لفظة "تسابق الأقزام" وهي عناية عن موصوف محاولا تحقيق معنى أدق وقد اعتمد أيضا دلالات أخرى تثبت تطابق الصفة في الموصوف في قوله: استمطروا، التمويه والتضليلا، هذا يندد وذاك يمارس التدجيلا.

---

[1]- عبد العزيز عتيق: علم البيان، ص 203.

[2]- عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص 51.

[3]- ابن الشاطئ المجموعة غير الكاملة ج2، المصدر السابق، ص 840.

لقد استخدم الشاعر أشنع الصفات الدالة على تعسف سياسة العدو وبطلانها، فقد لقبه بأقبح الصفات معلنا في ذلك حقده عليه ورفضه له:

« **قَدْ بَرْوَزَ الأسمَاءُ وَ انْـ كَـــــشَفَتْ مَساحيقُ الحُرُوب**

وتفننَتْ تِلْـــكَ الأرا ... ... نِبُ أمْسُ في قَمْعِ الشُعُوبِ »[1]

يستحضر الشاعر لفظة "الأرانب" للدلالة على حركية العدو طهي كناية عن موصوف، فهي تدل في العمق على مدى تنقل العدو من مكان لأخر فهو لم يصرح بهذه الصفة مباشرة وإنما كنى عنها بصورة لافتة وبدلالة تؤكد المعنى وتثبته.

وفي موضع آخر يقول:

« **وَغَدَتْ كِلاَبُ الصيْدِ واقفَةً بالبابِ .. والأَنْفُاسُ تُحْتَضَرُ ..!؟!**» [2].

هنا يوجه الشاعر قصفه للعدو، هادفا إلى تشويه صورته ولم يصرح بذلك مباشرة في النص مستعيضا في ذلك بدلالات هادفة وعميقة والتي زادت النص عمق وأكثر تأثيرا بقوله: "وغدت كلاب الصيد" لتكنى عن الموصوف وهو العدو، فحملت هذه الدلالة بعدا بلاغيا جميلا.

د- المجاز المرسل:

وهو نوع من أنواع المجاز، فهو بذلك الجزء من الكل فنقول في تعريفنا للمجاز وهو الكل بقولنا: استخدام اللفظ في غير ما وضع له، ويعد المجاز المرسل « مجاز لغوي (...) علاقته غير المشابهة، وسمي مرسلا لأن الإرسال يعني الإطلاق، فهو مطلق في علاقاته أي ليس له علاقة معينة »[3].

وللمجاز المرسل علاقات كثيرة نذكر منها: السببية، المسببة الجزئية.

---

[1]- ابن الشاطئ المجموعة غير الكاملة ج2، المصدر السابق، ص ص 848، 849.

[2]- المصدر نفسه، ص 872.

[3]- فضل حسين عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبديع ج 2، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط 12، 1429هـ-2009م، ص 144.

لقد وظف ابن الشاطئ المجاز المرسل، غير أنه لم يشمل علاقاته كلها وسنستحضر في معرض حديثنا النموذج الذي تيسر لنا إظهاره:

يقول الشاعر:

« أَطْلَعْتُ منْ كَبدِي حَرْفًا تُشَكِلُهُ عَيْناكِ .. مُتَسِقًا دَوْمًا .. ومؤتَلِقٌ» [1]

وظف الشاعر لفظة "كبدي" لتقتحم فكر المتلقي بهذه الدلالة، خارجة عن دلالتها الأصل، منزاحة بذلك لتحمل معنى مجازي يقصد به ذات الشاعر كلها وليس الجزء (الكبد)، فقد أطلق الشاعر دلالة لفظة "كبدي" وأراد بها نفسه جسما كاملا وعقلا على سبيل المجاز المرسل في علاقته الجزئية.

4- اللغة والأسلوب:

أ- اللغة:

تعتبر اللغة من أهم العناصر التي لها دور أساسي في بناء الشكل العام للقصيدة، فهي تقوم على حسن انتقاء الألفاظ من خلال اعتماد طريقة مثلى في التعبير، فهي إذن تبين عن قدرة الإنسان على إبطال رسالته إلى جمهوره، فتصبح بذلك « ألفاظ يعبّر بها كل قوم عن أغراضهم» [2]، ولهذا كانت أهمية اللغة في الشعر بليغة لأنها إحدى الركائز التي ينبغي للشاعر أن يتميز فيها لأن « اللغة في العمل الشعري غاية في حد ذاتها » [3].

أما الدكتور "محمد غنيمي هلال" فقد أشار في كتابه "النقد الأدبي الحديث" للعلاقة التلازمية بين اللغة والعمل الأدبي على وجه الخصوص يقول: « إذا كان العمل الأدبي –بعامة- يتوقف على الدقة في الصياغة فإن أولى مميزات الشعر هي استثمار خصائص اللغة بوصفها مادة بنائه (...) وذلك أن الشاعر يعتمد على ما في قوة التعبير إيحاء بالمعاني في لغته التصويرية الخاصة به » [4]. ولما كانت اللغة بهذا القدر من الأهمية، فقد اعتبرها النقاد والدارسون معيارا أساسيا يساعدنا على معرفة مدى حدق الشاعر وقدرته على التعبير على مختلف المواقف التي

---

[1]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة ج1، ص 313.

[2]- السيد أحمد الهاشمي: جواهر الأدب أدبيات وإنشاء لغة العرب، مؤسسة المعارف، بيروت-لبنان، د ط، د س، ج2، ص 2(مقدمة).

[3]- محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص 282.

[4]- محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، د ط، يناير 2004، ص 386.

يعيشها، فلا بد أن تكون « لغة الشعر إذن لغة مختارة تعبر عن عمق التجربة، وهي لغة راقية تعبر عن ذاتية »[1] لها خصوصيتها.

تعد اللغة قاسما مشتركا بين جميع الشعراء، إذ لكل شاعر بصمته الخاصة.

– ألفاظ تقليدية:

لقد استقى الشاعر مادته الشعرية من الشعر القديم إذ أن المتتبع لشعره يلاحظ، ارتباط المعجم اللغوي لديه بالقصيدة العربية القديمة فجاء شعره حافلا بالصور البيانية ونلمس ذلك في قوله :

«رَفِيقَة العُمْر .. أيْنَ الرائعُ الأَلَم وأينَ يَسْكن مَـــجْروحٌ ومنْهَزمُ؟؟

وأين يحْلُب هذا العَـــامُ ناقته إذا فاق .. وعرف كل ما زعموا؟؟

كانت قوفله كالشمس مقـبلةً واليـــومَ مُدْبرةٌ يقتَاتُهَا السَأْمُ

يَجترُها اللَيلُ مزهوًا بحاضِرهَا وتستطِيلُ على أَكْتافِها الغَنمُ »[2]

فالمتأمل للشاعر نجده، اعتمد طريقة التصريع في البيت الأول في الفظتين (الألم، المنهزم) وهي طريقة مشهورة في الشعر القديم يلجأ إليها الشاعر لتحسين طريقته في إلقاء الشعر هذا إضافة إلى قدرته (الشاعر) على تصوير المعاني ويتجلى ذلك في التشبيه المفصل في قوله "كانت قوافله كالشمس مقبلة) وتعود الهاء هنا على "العام" في السياق.

كما وظف الشاعر أيضا من خلال الأبيات المذكورة ألفاظ جزلة وذات عمق وقوة مثل: (المنهزم، السأم مقبلة، مدبرة الغنم).

لقد استلهم ابن الشاطئ من التراث العربي القديم أسماء القبائل العربية مستعينا بها لإيصال المعنى، وباعتبارها أعرق القبائل عرفت قديما بحسن مآثرها يقول:

« أَصِيلةٌ لا تَطُولُ الشَمـــــسُ قَامَتهَا وَلَيْسَ يعـــــرفُهَا في الآهِ منْحَدر

---

[1]– يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا دراسة فنية تحليلية، قسنطينة–الجزائر، ط1، 1407–1987، ص 135.

[2]– ابن الشاطئ المجموعة غير الكاملة ج2، ص ص 1085، 1086.

تَوَضأَتْ بالدَمِ المحرُوقِ .. واغتَسَلتْ بالكِبْرياءِ .. وشَدت رَحْلها (مُصْرُ) » [1]

لقد استحضر الشاعر في هذين البيتين أحد أسماء القبائل العربية وهي "مضر" وهي قبيلة عربية بها أصالتها وكلمتها بين القبائل العربية الأخرى، إذ اعتبرت رمز الشموخ والنفوذ.

يقول في موضع آخر:

« **يَا أُمَ أَوفَى .. أَحقًا في مُخَيلَتي طلعتْ .. وانتَفَضَتْ كالأَمسِ أغصَاني ..؟؟**

وكوكَبَتُكِ على صَـــــدْرِي مؤلهةً وَوَادَعتْكِ علَى أَجْيَادِ قَحْطَانِ ..؟! » [2]

لقد أكثر الشاعر من توظيف أسما القبائل العربية في شعره، وهذا أكسب التعبير عمقا وهذا راجع أيضا للمكانة التاريخية التي تحتلها هذه القبائل طبعا.

أما أهم ظاهرة لغوية عند ابن الشاطئ، فهو منبعه القرآني الذي اعتمده تقريبا في جل أشعاره، وهذا سعيا منه إلى تشكيل معنى ذو دلالات عميقة، فكان التصاقه بالمعاني والألفاظ القرآنية واضحا.

ومن ملامح التقليد أيضا لدى ابن الشاطئ ، مخاطبة المرأة باعتبارها أنيسة العمر، والوطن يقول:

« **أُمَ أوفَى..سُعادُ..عَفْوكِ .. مَرت سُحُب الظَنُ واستفـاقَ لُبَابي**

جَرِّديني مـــن دَمعتي حنانَ وقتِي وتَجلَّى .. فهـــيِّئِي أَسبَابي

جَسَدي الحر مـــستَعِدُ .. أطلي مِنْ شَرَايينهِ .. وشُدِي رِكَابِي » [3]

وقد استعار الشاعر لفظة "أم أوفى" من شعر زهير بن أبي سلمى في قوله:

« **أمن أمِّ أَوْفَى دمنَةٌ لَمْ تَكَلّم بحَوْمانةِ الدَارِجِ فَالمُتَثَلِمِ** » [4]

ومن هنا تتجلى بوضوح صورة المرأة سعاد في "أم أوفى"، الرمز لدى الشاعر.

---

[1]- ابن الشاطئ المجموعة غير الكاملة ج1، ص 82.

[2]- ابن الشاطئ المجموعة غير الكاملة ج2، المصدر السابق، ص 780.

[3]- المصدر نفسه، ص 655

[4]- زهير بن أبي سلمى: ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط 3، 1424هـ-2003م، ص 102.

يقول:

« **أنت رمزي يا أُمَ أَوفَى وحسْبي في السنينِ العِجَافِ أنْ تُدْرِيكِينِي.. !!** »[1]

وقد ورد ذكر لفظة "العجاف" في القرآن الكريم في قوله تعالى: « وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنْبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ۖ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ »[2]

ويقول أيضا:

« **لاَ تَغِيبِي .. طَيْرَا أَبَابِيلَ أذْكَى نَفْسُ الأَرْضِ .. وَالصَبَاحَ قَرِيبُ** »[3]

لقد اقتبس الشاعر اللفظ والمعنى " طير أبابيل أذكى" من الآية الواردة في سورة الفيل، يقول تعالى: « أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ (1) أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ (2) وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ (3) تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ (4) »[4]. فكانت مصحوبة باسم التفضيل "أذكى" وهذا يدل على أن معجزة الله تكمن في إرسال هذه الطير لتحمي الكعبة المباركة فكان هذا من فضله طبعا، فالشاعر وهو يخاطب وطنه وبل ثورته فلسطين يأمل أن تكون هناك معجزة لتعيد للأرض المغتصبة بريقها.

ومما سبق يضيف الشاعر قائلا:

« **أُغرُبْ بعيدًا طَويلَ العُمْرِ مُختَزنَا زَيفْ الشْعاراتِ (عَامُ الفيلِ) مُقْتَدرٌ ..!** »[5]

يستحضر الشاعر في هذا البيت المعنى من القرآن الكريم وهو يتمنى أن تكون جل سنين الغربة، معطاء ومقتدرة مثل عام الفيل.

ومنه فالطابع الديني في قصائد ابن الشاطئ حاضرا من حيث اقتباس الألفاظ والمعاني خاصة، وبهذا كان نهله من القرآن الكريم يزيد من خلال الانتقال من قصيدة لأخرى.

---

[1]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة ج2، المصدر السابق، ص 613.

[2]- سورة يوسف، الآية 43.

[3]- المصدر السابق، ص 838.

[4]- سورة الفيل، من الآية 1 إلى الآية 4.

[5]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة ج1، المصدر السابق، ص 36.

ومن الظواهر اللغوية أيضا إلى جانب الاقتباس من القرآن الكريم نلتمس في شعر ابن الشاطئ ما يسمى بالتناص الأدبي ويتجلى ذلك في قوله:

« **(سَجِل أنَّ عربيَ) في تَطَلُعِهِ (إنا فَتَحْنَا .. وفي أَعماقِهِ النَقبُ**»[1]

لقد استوحى الشاعر معنى هذا البيت من قول الشاعر محمود درويش في قصيدة "بطاقة هوية"

« **سَجل!**

أنا عربي

ورقم بطاقتي خمسون ألف

وأطفالي ثمانية

وتاسعهم ... سيأتي بعد صيف!

فهل تغضب؟ »[2]

وفي الشعر العربي القديم، استحضر الشاعر اسم جبل قديما وهو "حبل التوباد" يقول:

« **تَجَسَّدت أُمْ أَوفَى الرّمْز واخْتَصَرتْ مَسَافَتي .. وانْجلَتْ في أَعيُني الهُدَبُ**

أسْرَجَتْ فُرْسَ المِـــــيعادِ مُوقِنَة أنـــــي عَلَى (جبَلِ التُوبادِ) أرْتَقِبُ»[3]

استوحى الشاعر لفظة "جبل التوباد" وهو جبل عرف قديما حيث كان محل اجتماع قيس بليلى، فهو يشهد قصة حبهما.

فكان الانتظار على سهول هذا الجبل يأخذ وقتا طويلا بينهما وقد استحضره الشاعر للدلالة على اللقاء الذي يجمعه يوما مع وطنه إذ نجده اتخذه مقاما يتطلع من خلاله إلى غد مشرق.

---

[1]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة ج1، المصدر السابق، ص 198.

[2]- محمود درويش: الأعمال الأولي 1، ص 80.

[3]- المصدر السابق، ص 201.

يقول مجنون ليلى:

« **وأجهشت للَتوْبَانِ حِينَ رأيَتهُ فَهَلَلَ للرحَمَانِ حِـــــينَ رآنِي**

وأذِرَيت دَمْعَ العَيْنِ لَمَا رأيْتُهُ ونَادى بأَعْلى صـــوْتِهِ ودَعَـــانِي

فَقُلتُ لهُ أَيْنَ الذينَ عَهَدْتَهُم حَوَالِيكَ في خَصْبٍ وطيب زمان؟ »[1]

وما تجدر الإشارة إليه أن التسمية تختلف باختلاف الراوية لأن الشعر في القديم لا يدوّن (التوباد والتوبان) مدلولا واحدا.

ب- الأسلوب:

إلى جانب اللغة يعد الأسلوب، خاصية يتميز بها الشاعر عن غيره وقد يتفوق فيها.

لقد ورد ذكر الأسلوب في الدراسات العربية فهو يعني « الكيفية التي يشكل بها المتكلم كلامه، سواء كان شعرا أو نثرا »[2]

وفي تعريف آخر ورد تعريفه: « بأنه اختيار choice أو انتقاء selection يقوم به المنشئ لسمات لغوية بعينها من بين قائمة الاحتمالات المتاحة في اللغة »[3]

وبمعنى أن الأسلوب هو ذلك الشكل أو الطريقة التي يعتمدها الشاعر أو الكاتب لتوصيل فكرة محددة حول موضوع ما، ومن ثمة يتعدد الأسلوب بتعدد شخصية الكتاب والمواضيع.

ونحن نتطرق إلى أسلوب ابن الشاطئ، فقد وجدناه أسلوبا سهلا بعيدا عن التكلف، بساطة التعبير، وضوح الفكرة المعبر عنها، فهو أسلوب يقربنا إلى شخصية الشاعر وطبعه وخاصة ارتباطه بالظروف التي عاشها.

---

[1]- قيس بن الملوح: ديوان قيس بن الملوح مجنون ليلى، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط 1، 1420هـ-1999م، ص 64.

[2]- نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث (الأسلوبية والأسلوب)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2010، ج1، ص 143

[3]- سعد عبد العزيز مصلوح: في النص الأبي دراسات أسلوبية إحصائية، عالم الكتب نشر*توزيع*طباعة، القاهرة-مصر، ط3، 1422هـ-2002م ص 26.

وعلى هذا الأساس فالمتأمل في شعر ابن الشاطئ يجده شعرا عميقا وثابتا لأنه جعل منه مذكرة لوطنه المحتل، فهو اختار القومية لإبراز أسلوبه من خلال الالتزام بقضية الوطن كما كان معروف في الوطن العربي.

بناءا على ما سبق فإن الدارس لأسلوب ابن الشاطئ وطريقة نظمه يقف على الخصائص التالية:

1- المباشرة في التعبير: تعد هذه إحدى خصائص الأسلوب عند ابن الشاطئ، فهو يقدم الفكرة والمعنى للقارئ من دون تعقيد بطريقة تجعله يعيش لحظاته وظروفه، ومن هنا يتشكل لدينا تلاحم نفسية القارئ مع الذات الشاعرة، يقول في فلسطين:

« **إنِّي أَشُمُكِ من بَعِيد وأراكِ في غَضَبِ شَديدِ**

تَتَأوهِينَ ... وتُقلبيـ ـنَ الدَارَ نَـــازفَة الوَرِيدِ

وَعَلَيْكِ مِنْ هَوَسِ المَوا ..جِعِ ما يَعبر عن صُدورِي » [1]

من خلال هذه الأبيات الشاعر يفصح ارتباطه الشديد بوطنه بأسلوب مباشر.

2- الوصف والإخبار: لقد عمد الشاعر إلى توظيف خاصيتي الوصف والإخبار في شعره من أجل إثبات توجهه، ونقل معاناة شعبه تحت وطأة الاستعمار يقول:

« **سَيطَرْتِ حَقَا .. وَ كَنتِ الشّوقَ مُتَقدَا يَجْتاحَنِي .. وهوَاكِ الصَعْبُ دِوانِي**

ولمْ أَكُن قَبْلُ أَدَري أن بَـــــارِقَتي مِنْ مُقْلَتَيْكِ . وقلْبي صَوتُ أَجْفانِي

وأَنَّ فَـــيْروُزكِ الخُمَـــــري ذَاكِرتِي وأَنّهُ في ضَمـــــير الآهْ شِرْيانِي » [2]

فكان الوصف والإخبار في شعره لا يخرج عن تصوير الواقع وقضية وطنه، ومن ثمة كان شعره موجه لمختلف الفئات مهما تعددت مستوياتها.

[1]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة ج1، ص 287

[2]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة ج2، ص ص 775، 776

3- أسلوب خطابي عميق: ونعني بالخطابي هنا هو أن ابن الشاطئ استعان بسمة معينة من سمات الخطابة، فأنت تقرأ قصائد شعره تشعر بتلك النبرة الخطابية وتتجلى من خلال استخدام الأساليب بنوعيها الخبري والإنشائي من (تعجب، استفهام، نداء ...)

يقول:

« **أتُدْرِكينَ مَسافَاتِي ..؟ وكَيْفَ أَعي رِيحَ الصِبَا ودَمِي المَحرُوق إن تَشْبي !؟؟** » [1]

ويقول أيضا:

« **لا تَجْرِحِي أبَدَا نَزيف حُـــــدائي حتى أَعُود وأنتِ تحتِ غِطَائي**

وَتَجَمَلي بالصَبْر .. لَا تَتَـــــسرَعي فَغَدَا تَرَيْن حَقيقَةَ الأَشْيَاءِ ..!!

مَا الأَمْر ..؟ مَازِلْتِ الهَوَى متَجَدرَا في أصْغَري فَأَنتِ خَيْطَ رَجَائي ..!!» [2]

فالأفعال التي وردت في الأبيات (لا تجرحي، تجملي، لا تتسرعي) أفعال أمر تتناسب مع الصيغ التي ترد في فن الخطابة فهو يخاطب الثورة وفلسطين على أنها جمهورا عاقلا.

5- تعدد الأغراض والموضوعات:

أ- الأغراض:

لقد نوّع ابن الشاطئ في توظيف الأغراض وهذا بالضرورة يتناسب مع مختلف الموضوعات التي طرحها في شعره، فالمتأمل في الأعمال الكاملة للشاعر، يدرك أنها تتمحور حول غرضين شعريين هما: الحنين، الغزل.

- الغزل:

لقد عمد ابن الشاطئ إلى توظيف هذا الغرض الشعري، ليصب في معنيين هما: التغزل بالمرأة (سعاد) التغزل بالثورة (فلسطين).

---

[1]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة ج1، المصدر السابق، ص 366.

[2]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة ج2، المصدر السابق، ص 678، 679.

ففي تغزله بالمرأة (سعاد) يقول:

« **حَقًّا أحبّكِ ياسُعَاد ويحبُنِي الرأيُ السَّدَادُ**

وتَشُدّني ذِكراكِ غَا... ... لينَني ... وَيَلفحني انْسِدَاد

وَيَضُمّني الزمَن البنَفْ ... سَج .. والوَدَاعة .. وَ الوِدَاد ..!! »[1]

يفصح الشاعر في الأبيات عن تعلقه بالمرأة وهو في غربته، فهي أنيسته في غربته الموحشة، يقول في موضه آخر:

« **إنَّها مُهْرَتي .. وَزهرَةُ عُمرِي وعلَى صَدْرِها الحَنونُ وِسادَتِي**

أَتَمرى بِرُوحِـــــها .. وَأُرَاعي وَجَعَ الصَبر في ضَميرِ بلاَدِي »[2]

من الأبيات الشاعر يخلق لنا صورة بليغة لمحبوبته سعاد فهو ينعتها بأحسن الصفات وأصدق العبارات وهذا يدل على ارتباطه بذكراها.

لقد اتخذت فلسطين حيزا كبيرا وعمقا لا مثيل له في أشعار ابن الشاطئ فقد جعلها تتخذ من صفات المرأة ما جاءت به قرائحه، لينتقل بنا في ثنايا أشعاره من ما هو مادي مجرد إلى ما هو معنوي محسوس. خلق لوطنه فلسطين صورا عديدة، لتصبح المرأة المثلى في الحسن والبهاء والصحبة، فيتغزل بها محافظا على الخيط الشعوري الذي يربطه بها يقول في هذا الصدد:

« **قد أَدرَكْتُ مَعنى الوُجُودِ أبية فاسْتدركت .. وتَسَلَحت بحِدَائِي .. !!**

أو لست قَامَتها ..؟ فأنت حبيبتي عُمْري .. وَعُمق مَشَاعري وَهَوائي

أهْواكِ وَاقِفة على جَسَد الضحَى مَعْجونة بالصَـــــــبرِ والحنَّاء

تتَنَفسِين أَزاهَـــــري فِي لَهْفة وَتُكَوْكِبِينَ حَصَـــــانة الشُرفاءِ »[3]

---

[1]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة ج2، المصدر السابق، ص ص 1128، 1129.

[2]- المصدر نفسه، ص 704.

[3]- المصدر نفسه، ص ص 682، 683.

فتظهر فلسطين هنا المنافس الحقيقي لسعاد، فقد أسقط عليها الشاعر خصال المرأة وجعل منها جسدا حرّا يسافر في خيالاته فيعيش معه ذكريات لا تنسى، مثبتا شعوره بهذه الألفاظ الدالة (حبيبتي، أهواك، عمق مشاعري، هوائي). وهذا يدل على قيمتها عنده.

وتتواصل الدفقات الشعرية الشعورية لدى الشاعر، فيقول:

« راجعت حبّكِ مَزْهوا بِفِـــــطرتِهِ فَكَـــادَ يَغرقُ في مستَنْقَع النَزف

ظَنَنته كَـــدَمِي المحروق منطلقا كالسهم .. مخْتَرقاً في صَحْوة العَرَق

ظَنَنْت !! وارتَعَشتْ أَشْجَار ذَاكرَتي غَضَبي! وجنَّ علَى نهديك مُنْزَلِقِي!

عفو الهوَى الصعب! ماعدنا نُكَابِدُه ولا نُعَـــــايِشه إلّاَ عَلَى الوَرق » [1]

فهذه الأبيات وما تحمله من معاني لا تخرج عن معنى كلي هو أن الشاعر جعل تعلقه بموطنه فلسطين، حبه الثاني الذي يتقاسمه معها بعد سعاد. ففلسطين تمثل انطلاقته الأولى، وملاذه الأخير، فمهما طال بعده فانتماؤه لا ينكر، فرغم الظروف التي عاشها فسيبقى وفيا ولسانا ناطقا باسم وطنه.

– الحنين:

هي مشاعر وأحاسيس الشوق إلى الوطن توقض القلب فيبقى متلهفا للقاء الوطن، فهو بعظمة تاريخه وحضارته يبقى راية تعلو السماء، يحملها أبناؤه ويثبتوا أصالتها، فالحنين إليه عند ابن الشاطئ حكاية كانت انطلاقاتها من ديار الغربة القاهرة، ولقد تشبع شعره من هذا الغرض الشعري.

فبحكم البعد الذي يعانيه الشاعر وهو في غربته يزداد شعوره بالحنين إلى وطنه الأصل، ويتمنى أن يعود به الزمن إلى الماضي ليحيا ولو لحظة في مسقط رأسه.

يقول:

[1]– ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة ج2، المصدر السابق، ص 1120.

« **وَيمطرُ الشَوْق صُوفَيا .. تُدَاعبُهُ أَنَامِل الأمسِ .. للأمسِ ينعَاهَا .. !!**

كَانَت .. وكُنْتُ عَلَى فيْرُوزها مَطَرا مُسْتَوحشًا .. وَحَنيناً فَضَّ مغزَاها .. !!

وَمَا عرفْتُ سِوَاها .. فـهيَ طَالِعَة من أصغري .. وريحُ المِسْكِ تَهواهَا.. !! »[1]

يصدر الشاعر هذه الأبيات عن عاطفة متأججة صادقة اتجاه وطنه فهو حين يتذكر هذا الفراق، ينفطر قلبه حزنا وألما.

ويقول في موضع آخر في أبيات تفيض شوقا ووجدانا:

« **وَأَمْطَر الشَوْق مولعًا .. مُسْتَحمًا فوْقَ جَفْنَيْكِ في مرَايَا انسجامِي**

وأُحَنيـــــكِ مثْقَـــــتلاً بجنوني قَبْلَ أنْ يسْكُنَ الفِطَامُ فطَامي »[2]

في هذه الأبيات تبرز أعباء الشاعر المثقلة بمشاعر الحنين والشوق فهو صوّر لنا مختلف أحاسيسه الصادقة التي تظهر حبه العميق لفلسطين، فقد أحسن انتقاء الألفاظ الدالة على ذلك وهي (أمطر، الشوق، أحنيك).

أما بالنسبة لأشكال الحنين فهي متعددة وستلقى منا الدراسة والتفصيل في المبحث الثاني من الجانب التطبيقي.

ب– الموضوعات:

– الوطن:

إن الوطن من الموضوعات التي شغلت حيزا كبيرا في ثنايا أشعار الشعراء، وهو من المواضيع الأساسية التي لا يمكن لشاعر تجاوزه وعدم الحديث عنه وأكبر مثال على ذلك شعر شعراء المهجر أمثال: إيليا أبو ماضي، ميخائل نعيمة ... إلخ.

فالوطن هو ذلك المكان الذي نقيم فيه وننتمي إليه، فهو الانتماء والهوية وهو أرض أبائنا وأجدادنا وأرضنا الذي ترعرعنا وكبرنا فيها، وبالتالي فهناك ارتباط وثيق بين الإنسان ووطنه يقول ابن الشاطئ:

---

[1]– ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة، ج2، المصدر السابق ص 631.

[2]– المصدر نفسه، ص643.

« أُمُ أَوْفَى .. لا فضّ في .. فحَسبِي أنني دائِما ضمير "غَفَار"

وبِـــأَني أَهْواكِ دون حُـــدُود وأُصَافيك رغْمَ ألفِ دولار

وأرَى فِيـــك قَامتِي وشُـــمُوخي وانبِعَاثِي على شِفَاه الحجَار »[1]

هذه الأبيات تصريح مباشر من طرف الشاعر بحبه لوطنه وتعلقه به فوطنه جزء لا يتجزأ من كيانه، وشموخه من شموخ وطنه، ومحبته لوطنه محبة لا تضاهيها أية محبة أخرى ويحتل موضوع الوطن نسبة كبيرة في شعر ابن الشاطئ نظرا للواقع الذي يمر والأحداث التي تجري فيه ويقول في السياق:

« أَحْلامُنا الكُسلى تطُول فعلامَ تنْتَحِرُ الخـــــيُول؟

قفزت مـــــظلات الأنا وتبروز الوَطَن القَتِـــــيل

وتناهشت لـــــمى كلا ..ب الصيد واشتعل الفتيل »[2]

هذه الأبيات بمثابة الدليل على استفاقة الشعب الفلسطيني فأحلامهم بمستقبل أفضل بدأ بالتحقق وذلك بفضل صمودهم وثباتهم وإن كانت هذه الأحلام تتدفق بصورة بطيئة جدا، وهذا التحقق للأحلام دليل على الوعي الفلسطيني وأن الثورة الفلسطينية في مسارها الصحيح فهي تشكل خط البداية لاسترجاع الوطن المسلوب وهو أغلى ما يملك أي إنسان.

ويقول أيضا:

« أنا يا أصيلَة دَائِما زمن صَاح .. وأنْت الأرضُ والبَشَر

في كُلّ زاويَة تُظِلـــــنا ريح الصبا .. وتضُمَنا العبرُ ! »[3]

يخاطب الشاعر من خلال هذه الأبيات وطنه فلسطين ويعتبرها الأساس الذي يعيش من أجله فهو يرى أن الوطن هو الحضن الذي يجمع في كل زواياه ذكريات الماضي الجميلة.

---

[1]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة ج1، المصدر السابق، ص 190.

[2]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة ج2، المصدر السابق، ص 935 .

[3]- المصدر السابق، ص 181.

– الثورة:

تعتبر الثورة الموضوع الثاني الذي لا يقل أهمية عن الوطن في شعر ابن الشاطئ، وقد كان حديثه عن موضوع الثورة مرتبط بواقعه وبما يحدث في وطنه الأم، فهو واحد من ثلة الشعراء الذين يدافعون عن أوطانهم وثوراتها بالقلم، رغم بعد المسافة فإنه حمل على عاتقه قضايا شعبه ووطنه وتعتبر الثورة الفلسطينية قضية كل الشعوب في العالم.

يقول ابن الشاطئ حول موضوع الثورة

« مَاذَا أُسَميهَا ...!؟! ... منارة أَمْ تِلكَ مُعْجزةُ الحجارة

يتـــــــحدث البرْكَانُ مــن فمِهَا ... وَتَحْتلُ الصَّدَارة

فعلَى جِبَال الشَمـــس تَلْــ طُمُ خيْطُهَا الصَّاحِي .. منَاره

وَتَحُط فوْقَ جَـــــــوَادهَا طِفْلاً تُجَسِّدُه الجسَارة» [1]

إن الثورة هي بصيص الأمل بالنسبة للشعب الفلسطيني الذي هو في حاجة ماسة إليه، فهي ذلك التغيير الذي يمس مختلف الجوانب سوءا اجتماعيا أو سياسيا ... إلخ، وهي ما يطمح إليه الشعب الفلسطيني لتحقيق أهدافه، فعظمة الثورة تصفها بطولات ثوارها وشعبها وتضحياتهم وحنكتهم، وما أعطى للثورة الفلسطينية صفة القدسية والعظمة كونها ثورة تقوم على استرجاع الحقوق وأيضا تضامن شعوب العالم معها. وهذه الثورة لم تقتصر بطولاتها على عنصر الرجال فقط بل حتى الأطفال كان لهم دور كبير في ذلك حتى أصبح يطلق عليهم أطفال الحجارة.

وفي الصدد نفسه يقول ابن الشاطئ:

«لم تزل تُنْذِر الجَمِيع .. وَتَغْزُو جَسَدَ الآمنينَ في خَبْلاء

وعلى رَأْسِها دعي .. أثيـــم تتعَرَى على ضُلُع الغبَاءِ ..!!

غَابَ عَنْهَا أن الهَوَى عامري وبِأَنّا الرّدى .. وصَوْت السّمَاء

[1]– ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة ج1، المصدر السابق، ص 23.

نَعْبُر المستَحِيلَ دُونَ حُدُود ونرى الله في دَمِ الشُهَداء ..!! »[1]

إن الشاعر من خلال هذه الأبيات يؤكد على تمسكه هو وشعبه بهذه الثورة، وعدم التخلي عنها مهما كانت الأوضاع، فالشاعر وشعبه لهما موقفين اثنين لا ثالث لهما، فإما المجد والانتصار للثورة والشعب وإما التضحية والشهادة في سبيل الوطن.

– عاطفة الحنين:

إن هذه العاطفة من العواطف المرتبطة بالإنسان أينما ذهب وأينما جاء، وقد تجلت هذه العاطفة في شعر ابن الشاطئ نظرا لكثرة ارتحالاته من بلد إلى آخر وقد تجسدت هذه العاطفة لديه جراء ابتعاده عن وطنه وأهله وأحبائه فنجده يقول:

« **يأُمُ أَوْفَى .. يَستحيلُ فِرَاقَنَا مهما جرى هلِ تَفْهَمينَ خِطَابي .؟؟**

فَأَنا حبِيبُكِ دائمًا .. وتشدّنِي مهما جنَحْت عراقة الأحسَاب »[2]

يخاطب الشاعر أم أوفى المرأة ويعبر عن مدى حبه لها، وأنه لا مجال للفراق بينهما مهما مر الزمن وتغيرت الأوضاع، ومادام على قيد الحياة فإن قلبه ينبض لها حبا وإخلاصا.

ويقول أيضا:

« **وَيَظلُ حبِّي الصعْب مهما عَرْبَـــدت تلك الهوَامش .. دون أيُّ حِجَاب**

لا الهجْرُ يوهِمني .. ولا الشَكل الذي يبدُو .. ولا أرجـــوحَةُ الأَلْعَابِ

فَأضنا سكنت العمق فيك .. ولم أَزَلْ متَجَدرًا في صَـــــدرِكَ الوثاب »[3]

---

[1]– ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة ج2، المصدر السابق، ص ص 676، 677.

[2]– ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة ج1، المصدر السابق، ص ص 60،61.

[3]– المصدر نفسه ص 57.

يصف الشاعر حبه لوطنه فلسطين وأن حبه لها باقٍ لا يزول رغم كل معاناته في وطنه الذي نجم عنها هجرته الاضطرارية إلى بلدان أخرى، لكن هذه الهجرة لم تنسه في فلسطين وهذا إن دل على شيء فإنه يدل على أصالته وشهامته.

المبحث الثاني: تجليات الحنين في الأعمال الكاملة لابن الشاطئ

أولا– الحنين إلى الوطن:

يعد الوطن ذلك المكان الذي يولد فيه الإنسان ويتربى في ربوعه فهو أجمل الأماكن على الإطلاق، في هذه الحياة باعتباره جزءا من كيان الإنسان وقد أشار "ابن سيده" إلى الوطن بقوله: « الوطن حيث أقمت من بلد أو دار »[1]

فهو شيء مقدس لأن فيه ذكريات الصبا التي تبقى عالقة في ثنايا مخيلته.

قد يعيش الإنسان لفترة في وطن غير أرضه لظروف أجبرته على الرحيل، وهذا ساهم في تفشي ظاهرة الحنين إلى الوطن، فهي ظاهرة شاعت قديما وأخذت تتطور إلى يومنا، فرغم ذلك لم تخرج عن معناها الأصل فا «العربي بفطرته يحن إلى الأرض التي درج عليها وإلى سمائها التي أظلته وإلى الأناس الذين تربى بينهم »[2]

فهذه العاطفة تزداد بزيادة سنين البعد وتعبر عن نفسية مغتربة، وهذا ما يمنح هذا النوع من الشعر طابعا خاصا.

فالإنسان « إذا ذكر التربة والوطن حنّ إليه حنين الإبل إلى أعطانها» [3]، فهذا الشعور وليد الفطرة، فهو بطبيعته يشتاق إلى وطنه ويحن إلى الأهل في حياته الجديدة.

يعد ابن الشاطئ من الشعراء الذين تناولوا ظاهرة الحنين إلى الوطن في الشعر الفلسطيني، فقد حنّ إلى فلسطين التي أبعد منها.

---

[1]– يحي الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي– الحنين إلى الأوطان– دار مجد لاوي للنشر والتوزيع، عمان–الأردن–، ط 1، 1428هـ–2008م، ص 09

[2]– ممدوح محمود حامد: الرواية وأثرها في النقد الأدبي، دار جليس الزمان للنشر والتوزيع، عمان–الأردن، ط1، 2010، ص 37.

[3]– أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ: الحنين إلى الأوطان، دار الرائد العربي، بيروت–لبنان، ط2، 1402هـ–1982م، ص6.

فيقول متشوقا إليها، وهو في غربته مبديا في ذلك شوقا شديدا متمنيا العودة إلى فلسطين حرة آمنة:

« **أَشْتاقُ وصلَكِ .. لسْتُ مدّعيًا يا أم أوْفَى .. ضِعْـــتُ مُغْتربا**

أحياكِ عن بُعْد .. ويَخْنِقُني مَا قَدْ جرى في الظِّلِ وانتَصَبا

أشيَاؤُك الصغْرىَ تؤجـــجني وأُطِلُ من أحـــــداقِهَا تعبَا

ويشُدُني الفيْرُوز مكتـــــحِلاً بِأَصَابعي .. وأَذُوب منسكبا .. !! » [1]

فالشاعر يحن إلى كل جزء في وطنه، الذي لا يماثله في الحسن والبهاء وطن آخر، فبقي يتشوق أخباره، يقول معبرا عما يختلج صدره من شوق ملتهب:

« **طَالَ الفرَاقُ .. وطَالَتْ دمعَةُ السفر وورّقتني مرايا الليـــــــلِ والسَّهْر !!**

وَجَدَّدتني على جَفْـــــنيكِ أُغْنيةٌ في الموقف الصّعْبِ تَهْواني على كِبَري

أَشْتَاقُ .. أَشْتَاقُ هل في الرُكْنِ من أثر يَمْتَدُ يا صحـــوة الأيَامِ في أَثَري؟؟ » [2]

فدمعة الشاعر تزداد لطول الفراق، فهو يمثل علاقة الفرد بالأرض، فقد دعّم موقفه باستحضار ألفاظا عميقة مثل (طال الفراق، ورقتني، تهواني، أشتاق) فمهما سكن موطنا آخر إلا أن وطنه الأصل لن يعوضه أي شيء آخر فحسرة الشاعر تزداد لبعده عن موطنه.

ثانيا: الحنين إلى المرأة:

تبرز سمة الحنين إلى المحبوبة في الشعر الفلسطيني بشكل ملفت فقد عبر الشعراء عن حنينهم وشوقهم اتجاه من يحبون « ونقصد بالمحبوب هنا هو (الحبيبة) أو (المعشوقة) التي تراءت في حنين الشاعر وتجربته، فأحس بفقدها، وانعكس في أشعاره ذكرياته معها » [3]

---

[1]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة ج2، ص 722.

[2]- المصدر نفسه، ص 952.

[3]- محمد أحمد دقالي: الحنين في الشعر الأندلسي (القرن السابع الهجري)، ص 294.

فسعاد هي محبوبة الشاعر، وقد جعل لها رمزيات متعددة منها: "أم أوفى" فأخذت تتكرر في جل قصائده فهو، يطمح دائما للقاء يجمعها يقول:

« **أَصَحيحٌ سنَلتقِي يَا سُعَـادُ وَعَلَى الشَرْق من هَوَانَا امتداد؟؟**

أصَحِيح أن المرايَا تَجَـلَت فَوْقَ جَفْنَيك واسْتَقَال الحِيَادُ؟؟

خْبِّرِينِي عَنْ كُلِّ شيء .. وحني ذرْوَةُ الشَوْق حِينَ يَصْحُو الفُؤَادُ »[1]

تزداد حرارة الشوق لدى الشاعر وهذا دفع به إلى طرح تساؤل: هل صحيح هناك لقاء يجمعه وحبيبته سعاد؟ أم هو مجرد حلم عابر، فكانت أمنيته العودة إلى دياره.

يعيش الشاعر في غربته مضطرب الفؤاد، لا أنيس له، فما هو سبيله في ذلك حتى تنطفئ نار الشوق والوجد في فؤاده يقول:

« **فَأَنا أَنْت .. ثَورَةٌ وامْتِـــــــدادُ عربي سما .. عريق .. جوادُ**

نحْصُدُ الشَوْقَ والهَوَى .. ونُصَفِّي قَامَةَ الريح حيْثُ يحلُو الحصادُ !! »[2]

تلتحم صورة الشاعر وسعاد لتخلق صورا أخرى ذات بعد واحد يجمعهما وهو صورة الوطن الذي يأملان أن يجمعهما قريبا.

هي الألفاظ والحروف التي كانت أنيس الشاعر لا تفارقه، فقد أخلص لقلمه في مختلف الظروف وجعل من سعاد نافذة يطل منها متى ضاق صدره فيستمر في التعبير عن لوعة الفراق اتجاهها يقول:

« **لَمَ تَسكتينَ وأَنتِ تَمْـ ـتلِكينَ أفْرَاسَ البَـــوَادِي؟؟**

أَهواكِ يا امْرَأَتِي ولكـنـ ني أُحِبُكِ فـــــي اعتقادي !!

لَا تَسْكُنِي عُنُقَ الزجا... ... جَةِ..!! إن شوْقِي في ازْدِيَادِ

---

[1]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة ج2، المصدر السابق، ص 991.

[2]- المصدر نفسه ص 997.

أنَا فَـــارس أَبْدًا وأرْ .. .. فُض أن يُفَارقني جَوَادي.. !! » [1]

يتمسك الشاعر بالأمل وهو بعيد، إلى جانب سعاد فعلاقته بها لازالت راسخة رغم البعد، باعتبار الحب أسمى المعاني التي تجمع بين اثنين، فيجمع الشاعر بين الحنين والحب في غرض واحد هو الغزل.

ثالثا: الحنين إلى الأهل:

إن أثر الغربة العميق في قصائد ابن الشاطئ ينعكس خاصة على عاطفته المتدفقة في كل حين، فيخلق بذلك البعد أشكالا متعددة من الحنين، التي لها تأثيرها في نفسية الشاعر، فصورة الأهل لا تغادر مخيلته فقد جعل لهم صورا جميلة معه في غربته الموحشة، فمن « الطبيعي أن يحنّ المرء إلى أهله وأقربائه وإلى ذكرياته التي قضاها معهم، بكل ما تحمله تلك الذكريات لأنها تعد جزءا من ماض عزيز يتذكره دائما ويحن إليه » [2]

وسنحاول استعراض نماذج شعرية فيما يتعلق بهذا الجانب من شعر الحنين، فنجد ابن الشاطئ يبين عن ألم الفراق من خلال قوله:

« فَإذا ضَحَى الأوراس في (سفانتي) وإذَا الجَزائِر في عـــبِيرِ سمَائِي

أَخْضَر في كُلِ الحُـــــقُولِ وأنتشِي أبدا .. واسْتَعْصِي عَلَى الأنواءِ !!

وعَلَى زنَادِ وَصْـــــلِها نطق الهوى فِي لَهْفَة .. جـــوريَّة .. عَذْرَاءِ

إنِي وَحَبُك مَـــــــا أَزَالُ كـما أنا وَطَنُ الهَوى .. ومشيئةُ العَلْيَاءِ » [3]

ككل مرة تتحرك عواطف الشاعر المتأججة، لتعبر عن تجربته ومدى حنينه إلى ابنته "سفانة" فهي مشعل المستقبل فيخاطبها من بعيد ومشاعره تعكس مآسي غربته في وطن غير وطنه ، فهو يحرص على التواصل معها بقوله "على زناد وصلها نطق الهوى" لتصبح مشاعر الشوق رباط وصل بينهما.

فمشاعر الحنين لدى الشاعر لا تهدأ فيضيف مخاطبا ابنته "لمى":

---

[1]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة ج2، المصدر السابق، ص 1200.

[2]- محمد أحمد قالي: الحنين في الشعر الأندلسي (القرن السابع الهجري)، ص 287.

[3]- المصدر السابق، ص ص 1137، 1142.

« أَتَطلّين مِنْ عيُونِ النَهَار يا (لمى) الشَوقِ فيِ شفَاهِ الِجمار؟؟

أتَطَلين يا حبيبـــــة إِن فِي مَدَاك الجُورِي أَلْفَ مـــنار

إنَّنِي أُدْرِكُ المسَافة حقًا وأعـــرّي شَـــــــراهة التّجَار

وأرى فيك يا بنية نفسي دون زَيْفٍ .. فأَمْتَطِي أسْــفَارِي

إنّهُ اللَيْلُ يا حَبِيبَة يَمْشِي فوق حدّ الأنا وطعـــم الحـصار

إنه الضوء فاسكنيه وكوني يا (لمى) الشوق معطيات (غفار)!»[1]

فالبعد الذي يؤرق الشاعر، يزيد من حسرته لتصبح أيامه كلها ليالي حالكة، و لمى ذلك النجم الذي يطلّ من الأفق البعيدِ لينير أيامه، فأضحت لمى إحدى صور أهله التي لا تفارق خيالاته.

رابعا: الحنين إلى الذكريات الماضية:

ونعني به حنين الشاعر إلى الأيام التي قضاها في مسقط رأسه، إلى التربة التي احتضنته، فالوطن ذلك الحضن الدافئ، والشاعر « (...) ارتبط به ارتباطا وثيقا، وأصبح من ذكرياته الماضية التي لا تفارق مخيلته »[2]

وفي هذا الصدد يقول الشاعر متشوقا إلى أيامه الماضية:

« أَسْتَحضرُ الماضِي..وأشتعل وألوب فِي جُـــــرْحِي..وأَعْتَزل

وكَأَنَّني ضَيّعْت رَاحـــلـــتي في المنحنى..وتضَاحَك الأجَل..!؟!

تنثال أشْـــوَاقِي مغـــالبة صَوتي.. وتَسْتوحي .. وتـبتهل

وَتَرُودُه الذِكْرَى .. وتــسكنه ريحُ الصّبَا .. والنُورَسُ الشَـمِل

وعَلَى مداخله يحـــاورني فيروزها الخمريّ .. والمقل »[3]

---

[1]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة ج2، المصدر السابق، ص ص 1175، 1176.

[2]- محمد أحمد قالي: الحنين في الشعر الأندلسي (القرن السابع الهجري)، ص 320.

[3]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة ج1، ص ص 580، 581.

فحنين الشاعر إلى الماضي تمثل في حنينه إلى مسقط الرأس، لأن التعلق بالأرض الأهل والأحباب سمة بارزة في شعره. فهذا الشعور يصدر عن عاطفة الإنتماء والهوية، وهو فطرة في بني آدم، ومنه يستمد هويته الاجتماعية.

ويضيف الشاعر قائلا:

« **مَا أَذْكرُ كَيْفَ عَانقَتْنا خَلْفَ الأناَ .. وجعْ وَتِذْكَار** »[1]

يستحضر الشاعر ذكراه في فلسطين، وأيامه حلوها ومرّها.

[1]- ابن الشاطئ: المجموعة غير الكاملة ج1، المصدر السابق، ص 135.

الخاتمة

وفي الأخير خلصنا إلى مجموعة من النتائج في بحثنا هذا والمتمثلة في:

- عرف الشعر الثوري اهتماما كبيرا من قبل الأدباء وذلك جراء ارتباطه بالثورة التي تحمل في مضمونها وجوهرها قضايا إنسانية فهذا النوع من الشعر شعر نابع من صدق الأحداث، فكان تصويره للوقائع التي تحدث في تلك الفترة تصويرا دقيقا.
- هناك علاقة وطيدة تجمع بين الشعر والثورة، وهذه العلاقة تخدم كل منهما وتشكل الشعر الثوري، فالثورة هي صورة لشعب أراد الانتفاضة والحرية وهذه الصورة يجسدها الشعر من خلال تصويرها تصويرا صادقا، أي أن الثورة مادة الشعر والشعر عامل أساسي في إسماع صوت الثورة إلى الرأي العام ولا بد أن يكون الشاعر ثوريا في فنه لأن سمة الإبداع هو الثورة والتجاوز وأن يساند ثورات بلاده ضد المستعمر والمتعدي الغاصب وإلا ما عدّ مبدعا وكذلك كان ابن الشاطئ.
- إن ظهور شعر الثورة مرتبط بفترة زمنية معينة من حياة الشعوب إذ هناك فرق واضح بينه وبين مصطلح ثورة الشعر، فالثورة لا تقتصر على الحروب والدمار، بل هي أيضا –في بحثنا هذا– تمس جوانب الأدب ففي الشعر هي عبارة عن هدم للنظم التقليدية لهذا الشعر والمتبعة من قبل أي كسر المعايير التقليدية في الشعر مثلا: النظام العمودي للقصيدة ثم جاء النظام الحر ثم قصيدة النثر .. إلخ.
- إن الشعر عموما كجنس أدبي له أنواعه ولكل نوع خصائصه التي يتفرد بها عن بقية الأنواع الأخرى، وكذلك الأمر بالنسبة لشعر الثورة فقد اتسم بجملة من المميزات منها: قوة الألفاظ، التغني بالبطولات والأمجاد ... إلخ
- إن شعر الحنين شعر يعبر عن شعور صادر عن عمق صادق نتيجة حالة شعورية معينة، يكون الشخص فيها قد تعرض لمواقف صعبة تركت في نفسيته شعورا بالغربة والاشتياق.
- إن أهم أسباب انتشار شعر الحنين في العصر الحديث هي اعتقال الشعراء وتهجير الأدباء عن أوطانهم وكذلك عنصر الثورات والاحتلال وهذه الأمور دفعت بالأدباء عموما والشعراء خصوصا إلى الابتعاد عن الوطن والأهل والأحباب، وهو ما حدث مع ثوار فلسطين منذ نكبتهم الكبرى.
- إن أعظم مأساة صورت الحنين هي مأساة فلسطين كما يصورها حنين ابن الشاطئ إلى وطنه؛ باعتباره وطنا وباعتباره مقدسا وباعتباره مغتصبا وباعتبار ابن الشاطئ مهجرا وباعتبار ابن الشاطئ أيضا شاعرا.

- يتسم شعر الحنين بجملة من الخصائص منها ما هو متعلق بالجانب الموضوعي: كتعدد الموضوعات وأخرى متعلقة بالجانب الفني: كاعتماد المحسنات البديعية والموسيقى وغيرها من العناصر التي تضفي على الشعر الجمال والفنية.
- لقد تمثلت تجليات الثورة في الأعمال الكاملة لابن الشاطئ في ثلاث عناصر هي: 1-المعجم الشعري للثورة والذي تمثل في الألفاظ الدالة على الثورة والألفاظ الدالة على الوسائل، وأسماء الشخصيات وأيضا 2- متفرقات من الثورات: كالثورة في فلسطين وفي الجزائر وفي الوطن العربي عموما إلى جانب ثورة الإبداع التي شملت جانب الموضوعات، فالشاعر قام بالتجديد في هذا العنصر فقد تناول مواضيع متعددة كالثورة، الوطن ... إلخ، وكذلك الأمر بالنسبة للجانب الشكلي الذي مس اللغة والإيقاع ... إلخ.
- لقد شغل الحنين جانبا مهما في الأعمال الكاملة لابن الشاطئ وهو الآخر تمثل في أربع عناصر متمثلة في: الحنين إلى الوطن، والحنين إلى المرأة، والحنين إلى الأهل، والحنين إلى الذكريات الماضية.
- يعتبر ابن الشاطئ من أكثر الشعراء عطاء، وأكبر دليل على ذلك غزارة إنتاجاته.
- إن ابن الشاطئ من الشعراء الفلسطينيين المعاصرين الذين خدموا قضية وطنهم وأحسنوا التعبير عنها.

ملحق

التعريف بالشاعر ابن الشاطئ:

يعد ابن الشاطئ واحدا من الشعراء الفلسطينيين الذين اتخذوا من القلم وسيلة لتصوير آلامه وآلام شعبه فهو « ابن الشاطئ إسماعيل إبراهيم شتات من مواليد الجسير–فلسطين 1939 (...) من اللجوء إلى السجون، إلى المنافي ... محاصر في أكثر من بلد »[1]

بدأت مسيرته التعليمية في القرية وعندما وصل إلى الصف الرابع ابتدائي، وبينما كانت العائلة تحصد المحصول في فترة الهدنة الأولى (07-06-1948م) خرق الصهاينة الهدنة الموقعة مع العرب، وهجموا على الجسير والقرى المجاورة لها، فتشردت العائلة ولجأ الشاعر مع عائلته إلى مدينة الخليل وفيها ذاق مرارة اليتم بعد أن توفي والده، التحق شاعرنا الكبير بصفوف الحركة الوطنية الفلسطينية في سن مبكرة، ونبغ في الدراسة رغم ظروفه الاجتماعية والسياسية الصعبة.

كما استطاع بفضل موهبته المتفجرة منذ نعومة أظافره أن يسخّر قلمه لخدمة القضية الفلسطينية وقضايا الأمة، ورغم كل هذه الظروف الصعبة التي أفرزتها النكبة ووفاة الوالد، إلا أن شاعرنا الفذ لم يدخر جهدا في التحصيل العلمي، وفي عام 1957 تحصل على شهادة البكالوريا بتقدير امتياز.

تعرض للإعتقال في عديد من المرات حتى أنه دخل إلى السجن وحدث وأن استطاع الفرار من السجن العسكري بمساعدة رفاقه ثم ذهب إلى لبنان وأقام فيها وقام بأعمال عديدة، وبسبب خلافات لبنانية داخلية وجد ابن الشاطئ نفسه عرضة للترحيل. ومن لبنان اتجه نحو سورية ثم مصر ليدرس اللغة العربية وآدابها على يد ثلة من أكبر وأشهر الأساتذة في العصر الحديث، وقد كانت سورية مكانا لتكوين أسرة ففيها تزوج وفيها رزق بأول أبنائه وطبع أول ديوان شعري له وهو ديوان "خفقات قلب".

كانت لبنان معقل الشعراء الكبار احتك بهم ابن الشاطئ أمثال: نزار قباني، الجواهري.. إلخ، أما في سورية فكانت تلك حقبة لتسليط الضوء عليه فدخل مجال الشهرة، وأسس أول رابطة أدبية في سورية.

التحق ابن الشاطئ رحمة الله عليه بصفوف الثورة الفلسطينية منذ اندلاعها في جانفي عام 1965م، نال شاعرنا الكبير ابن الشاطئ رحمة الله عليه شرف تمثيل الأردن وفلسطين في مهرجان تتويج الأخطل أميرا للشعراء في

[1]– محمد صالح خرفي: هكذا تكلم الشعراء، دار الأمير خالد، الجزائر، د ط، 2014، ص35.

عام 1962 ببيروت، شارك في العديد من المهرجانات منها: مهرجان ألفية أبو تمام، مثّل فلسطين في العديد من المؤتمرات منها: مؤتمر الصحفيين العرب في بغداد، ومؤتمر الأدباء العالميين في مدريد ... إلخ .

في عام 1970 غادر ابن الشاطئ المشرق العربي ليحط الرحال في الجزائر، وفي الجزائر فتحت له الأبواب على مصراعيها ، فعمل في أهم الوسائل الإعلامية الجزائرية سواء تلفزيون أو إذاعة وصحافة مكتوبة.

لقد كان لابن الشاطئ علاقات وطيدة مع مختلف أدباء الجزائر وعلى رأسهم: مفدي زكريا، وبقيت المراسلات بينهما حتى بعد مغادرة مفدي زكريا الجزائر، إضافة إلى محمد الأخضر اسائحي، وقد عمل ابن الشاطئ في مهنة التدريس في مختلف ولايات الوطن ولا تقتصر انجازات ابن الشاطئ على هذه الانجازات فقط.

وهناك العديد من الدواوين المطبوعة لابن الشاطئ رحمة الله عليه، له 69 ديوانا شعريا طبع منها 11 ديوانا منها: خفقات قلب، دائرة الرفض، اعترافات في عز الظهيرة، أبجدية المنفى والبندقية، أم أوفى تتجدد رغم الليل الطويل ... إلخ، وله أيضا 58 ديوانا مخطوطا لم ير النور بعد إلى جانب الأعمال النثرية والدراسات الأدبية والسياسية ... إلخ.

توفي ابن الشاطئ رحمة الله عليه يوم عودته من سورية إلى جيجل ليلة 29 أفريل من عام 2008 [1].

[1]- عدي شتات: السيرة الذاتية للشاعر ابن الشاطئ (إسماعيل إبراهيم شتات)، raha.hooxs.com يوم 2019/06/17 على الساعة 14:30.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم:

المصادر:

1- ابن الشاطئ: الأعمال الكاملة، دار الأوطان للطباعة والنشر، الجزائر، ط1، 2009م.

المراجع:

2- إبراهيم طوقان: الأعمال الشعرية الكاملة، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، مصر، د ط، د س.

3- أحمد أمين: النقد الأدبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، د ط، 2012م.

4- أحمد سحنون: ديوان الشيخ أحمد سحنون، الديوان الأول، منشورات الحبر، الجزائر، ط2، 2007م.

5- أحمد الشايب: أصول النقد الأدبي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، ط10، 1994م.

6- أحمد الشقيري: قصّة الثورة الجزائرية من الاحتلال إلى الاستقلال، دار العودة، بيروت، لبنان، د ط، دس.

7- أحمد كشك: التدوير في الشعر-دراسة في النحو والمعنى والإيقاع، دار غريب للطباعة والنشر و التوزيع، القاهرة، مصر، د ط، 2004م.

8- أحمد مزدور: الثورة الجزائرية في الشعر المصري المعاصر، مكتبة الآداب، القاهرة، مصر، ط1، 1426هـ-2005م.

9- أنور الجندي: خصائص الأدب العربي في مواجهة نظريات النقد الأدبي الحديث، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط2، 1985م.

10- إيليا أبو ماضي: ديوان أيليا أبو ماضي، دار العودة، بيروت، لبنان، د ط، 2004م.

11- بلقاسم بن عبد الله: دراسات في الأدب والثورة، دار هومة، الجزائر، ط1، ديسمبر 2001م.

12- جابر عصفور: الخيال، الأسلوب ،الحداثة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، مصر، ط1، 2005م.

13- الجاحظ: الحنين إلى الأوطان، دار الرائد العربي، بيروت-لبنان، ط2، 1402هـ-1982م.

14- الجواهري: ديوان الجواهري، دار العودة، بيروت، لبنان، ط3، 15 مارس 1986م.

15- خضر عبد الرحيم أبو العينين: أساسيات علم العروض والقافية، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط 1، 2010.

16- رجاء عيد: فلسفة الالتزام في النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، منشأة المعارف، القاهرة، مصر، د ط، د س.

17- زهير بن أبي سلمى: ديوان زهير بن أبي سلمى، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط 3، 1424هـ-2003م.

18- سالم المعوش: شعر السجون في الأدب العربي الحديث والمعاصر، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1424هـ/ 2003م.

19- سعد عبد العزيز مصلوح: في النص الأبي دراسات أسلوبية إحصائية، عالم الكتب نشر*توزيع*طباعة، القاهرة-مصر، ط3، 1422هـ-2002م.

20- السيد أحمد الهاشمي: جواهر الأدب أدبيات وإنشاء لغة العرب، مؤسسة المعارف، بيروت-لبنان، د ط، د س.

21- السعيد الورقي: لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع، الإسكندرية، مصر، د ط، 2004م.

22- السعيد الورقي: لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، ط3، 1984م.

23- سليمان العيسى: الأعمال الشعرية 1، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1990م.

24- صابر عبد الدايم: أدب المهجر، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط1، 1993م.

25- صالح خرفي: الشعر الجزائري، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، د ط، د س.

26- صلاح مؤيد: الثورة في الأدب الجزائري، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، مصر، د ط، د س.

27- طلعت شقيرق: الشعر الفلسطيني المقاوم في جيله الثاني، منشورات اتحاد الكتاب، د ب، د ط، 1993م.

28- طه حسين: خصام ونقد، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط13، كانون الأول، ديسمبر 1987م.

29- عباس بن يحي: قضايا الأدب الجزائري، دون دار نشر، د ب، د ط، د س.

30- عبد الرحمن تبرماسين: العروض وإيقاع الشعر العربي، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط 1، 2003.

31- عبد الرحمن عبد الحميد علي: النص الأدبي في العصر الحديث بين الحداثة والتقليد، دار الكتاب الحديث، القاهرة، مصر، د ط، 1426هـ/ 2005م.

32- عبد الرحمن ياغي: الأدب الفلسطيني الحديث، دار الكتاب العربي، د ب، د ط، 1969م.

33- عبد العزيز الحليفي: أدباء السجون، دار الكاتب العربي، د ب، د ط، د س.

34- عبد العزيز عتيق: علم البيان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، د ط، د س.

35- عبد المالك مرتاض: بنية الخطاب الشعري (دراسة تشريحية لقصيدة أشجان يمانية)، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون الجزائر، د ط، د س.

36- عبد الوهاب البياتي: الأعمال الشعرية 1، دار الفارس للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د ط، 1995م.

37- عبد الوهاب البياتي: الأعمال الشعرية 2، دار الفارس للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، د ط، 1995م.

38- عبيدة الشبلي: شعر الغربة عن الوطن بين القديم والحديث، دراسات في الأدب والفن، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، الدوحة، قطر، د ط، 22 حزيران/ يونيو 2018م.

39- عثمان سعدي: الثورة الجزائرية في الشعر العراقي، القسم الأوّل، الدار الوطنية للتوزيع والإعلان، بغداد ،العراق، د ط، 1981م.

40- عثمان موافي: دراسات النقد العربي، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، مصر، د ط، 2000م.

41- العربي الزبيري: المثقفون الجزائريون، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر، د ط، 1995م.

42- عز الدين إسماعيل: الشعر العربي المعاصر _ قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية_ دار الفكر العربي، د ب، ط3، د س.

43- علاء حسين البدراني: فاعلية الإيقاع في التصوير الشعري، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط1، 1436هـ-2015م.

44- علي عشيري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، 1417هـ/ 1997م.

45- عمر بن قينة: الأدب الجزائري الحديث تاريخا ... وأنواعا ... وقضايا ... وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ط2، 4، 2009م.

46- عمر بوقرورة: الغربة والحنين في الشعر الجزائري الحديث 1945- 1962، منشورات جامعة باتنة، الجزائر، د ط، 1997م.

47- عيسى الناعوري: أدب المهجر، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، 1977م.

48- غالي شكري: أدب المقاومة، دار المعارف، القاهرة، مصر، د ط، د س.

49- غالي شكري: شعرنا الحديث إلى أين؟، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط1، 1411هـ/ 1991م.

50- فتحية محمود: محمود درويش ومفهوم الثورة في شعره، المؤسسة الجزائرية للطباعة، د ب، د ط، 1987م.

51- فدوى طوقان: الأعمال الشعرية الكاملة، دار الفارس للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 1993م.

52- فيصل حسان الحولي: التكرار في الدراسات النقدية بين الأصالة والمعاصرة، دار اليازوري العلمية للنشر و التوزيع، عمان، الأردن، د ط، 2005م.

53- فضل حسين عباس: البلاغة فنونها وأفنانها، علم البيان والبديع ج 2، دار النفائس للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ط 12، 1429هـ-2009م.

54- قيس بن الملوح: ديوان قيس بن الملوح مجنون ليلى، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط 1، 1420هـ-1999م.

55- قيصر مصطفى: في الأدب المعاصر محاضرات في تاريخ الأدب العربي ونقده، دار الأشرف للتجارة والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 2016م.

56- محمد أحمد دقالي: الحنين في الشعر الأندلسي (القرن السابع الهجري)، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، ط1، 2008م.

57- محمد الأخضر السائحي: همسات وصرخات، المطبوعات الوطنية الجزائرية للطباعة والنشر، الجزائر، ط1، كانون الأول (ديسمبر) 1965م.

58- محمد بلقاسم خمار: بين وطن الغربة وهوية الاغتراب (شعر)، دار هومه، الجزائر، د ط، 2004م.

59- محمد حسين هيكل: ثورة الأدب، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، مصر، د ط، د س.

60- محمد الصالح خرفي: أبو القاسم خمار بين ثورة الشعر وشعر الثورة _دراسة نقدية_، جمعية الإمتاع والمؤانسة، الجزائر، د ط، 2004م.

61- محمد صالح خرفي: هكذا تكلم الشعراء، دار الأمير خالد، د ب، د ط، 2014م.

62- محمد العيد آل خليفة: ديوان محمد العيد آل خليفة، دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، الجزائر، د ط، 2010م.

63- محمد غنيمي هلال: النقد الأدبي الحديث، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة-مصر، د ط، يناير 2004.

64- محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925- 1975، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط2، 2006م.

65- محمود درويش: الأعمال الأولى 1، رياض الريس للكتب والنشر، بيروت، لبنان، ط1، حزيران/ يونيو 2005م.

66- مصطفى بيطام: الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي 1954- 1962، دراسة موضوعية، فنية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د ط، 1998م.

67- مفدي زكريا: اللّهب المقدّس، موفم للنشر، الجزائر، د ط، 2009م.

68- ممدوح محمود حامد: الرواية وأثرها في النقد الأدبي، دار جليس الزمان للنشر والتوزيع، عمان-الأردن، ط1، 2010م.

69- ميخائيل نعيمة: همس الجفون، نوفل، بيروت، لبنان، ط6، 2004م.

70- ناصر صبار: مصطفى بن براهيم شاعر الحنين إلى الوطن، دار الغرب للنشر والتوزيع، د ب، د ط، 2002م.

71- نزار قباني: الأعمال السياسية لنزار قباني، منشورات نزار قباني، بيروت، لبنان، د ط، د س.

72- نزار قباني: الأعمال الشعرية الكاملة، منشورات نزار قباني، بيروت، لبنان، د ط، د س.

73- نور الدين السد: الأسلوبية وتحليل الخطاب دراسة في النقد العربي الحديث (الأسلوبية والأسلوب)، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2010.

74- نور الدين درويش: السفر الشاق (شعر)، مطابع عمار قرفي، باتنة، الجزائر، د ط، د س.

75- هاشم صلاح منّاع: الشافي في العروض والقوافي، دار الفكر العربي، بيروت، لبنان، ط4، 2003م.

76- يحي الجبوري: الحنين والغربة في الشعر العربي- الحنين إلى الأوطان- دار مجد لاوي للنشر والتوزيع، عمان- الأردن-، ط 1، 1428هـ-2008م.

77- يحي الشيخ صالح: شعر الثورة عند مفدي زكريا دراسة فنية تحليلية، قسنطينة-الجزائر، ط1، 1407-1987م.

الكتب المحققة والمترجمة:

78- الجاحظ: الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، ج 3، دار الجيل بيروت، لبنان، ط1، 1356هـ/1938.

79- الجرجاني: أسرار البلاغة في علم البيان، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ/2001م.

80- الجرجاني: دلائل الإعجاز في علم المعاني، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1422هـ/ 2001م.

81- سلمى الخضراء الجيوسي: الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، تر: عبد الواحد لؤلؤة، دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، مايو 2001م.

المذكرات والرسائل الجامعية:

82- إبراهيم لقان: ملامح المقاومة ضد الاستعمار في شعر محمد العيد آل خليفة (دراسة فنية)، مذكرة ماجستير في أدب الحركة الوطنية الجزائرية، جامعة منتوري قسنطينة الجزائر، 1427-1428هـ، 2006-2007م.

83- أحمد بزيو: الموسيقى في الشعر الثوري (مفدي زكريا-أنموذجا)، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه العلوم في اللغة العربية وآدابها، تخصص أدب عربي، جامعة الحاج لخضر- باتنة 1، الجزائر، 2016-2017م.

84- عبد الرزاق بلغيث: الصورة الشعرية في تجربة الشاعر عزّ الدين ميهوبي _دراسة أسلوبية_، مذكرة معدّة لنيل شهادة الماجستير، جامعة بوزريعة 2 الجزائر، 2009م، 2010م.

85- فاتح عياد: الأغنية الثورية في ولاية قالمة، دراسة موضوعية فنية (الأدب الشعبي)، مذكرة مكملة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة 08 ماي 1945، قالمة، الجزائر، 2016- 2017م.

86- فطيمة بوقاسة: جميلة بوحيرد الرّمز الثوري في الشعر العربي المعاصر، ترجمة لمذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير (شعبة: أدب الحركة الوطنية)، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2006- 2007م.

87- محمد العربي الأسد: خصائص البنية الأسلوبية في شعر ابن الشاطئ، أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الأدب العرب الحديث، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة، الجزائر، 1437/1436هـ- 2016/2015م.

88- مها روحي إبراهيم الخليلي: الحنين والغربة في الشعر الأندلسي_ عصر سيادة غرناطة- 635- 897 هجرية، قدمت هذه الأطروحة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية، كلية الدراسات العليا، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2007م.

المجلات والمقالات:

89- إيمان فاطمة الزهراء بلقاسم: حضور الثورة الجزائرية في الشعر السوري سليمان العيسى نموذجا، الملتقى الوطني حول الجزائر وثورتها التحريرية، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر https:// mamifest-unive-ourgla.dz: 2013 6mars.

90- بن يطو عبد الرحمن: محاضرات في قضايا الشعر الحديث والمعاصر، جامعة المسيلة ،الجزائر، 2015م، 2016م.

91- حبيب دحو نعيمة: شعرية الخطاب الثوري عند بلقاسم خمّار، مجلّة كتابات ثورية، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، الجزائر، ع3، جوان 2015م.

عدي شتات: السيرة الذاتية للشاعر ابن الشاطئ (إسماعيل إبراهيم شتات)، raha.hooxs.com.

92- العرباوي هاجر: موقف الالتزام والالتزام من الأدب، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، د ط، د س.

93- مصطفى بن عبد الله: تجليات الثورة التحريرية في الشعر الجزائري الحر (دراسة نماذج)، مجلة كتابات ثورية، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر، ع3، 2015.

94- المناضلة الجزائرية جميلة بوحيرد: مجلة إفريقيا قارتنا، دون دار نشر، د ب، ع11، 2014م.

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
مقدمة	أ
الفصل الأول: الثورة والحنين في الشعر العربي – مقاربة نظرية –	
المبحث الأول: الثورة في الشعر العربي الحديث	1
أولا: تعريف شعر الثورة	1
ثانيا: علاقة الشعر بالثورة	4
ثالثا: الشعر الثوري وثورة الشعر	6
رابعا: خصائص الشعر الثوري	13
المبحث الثاني: الحنين في الشعر العربي الحديث	22
أولا: تعريف شعر الحنين	22
ثانيا: أسباب ذيوع شعر الحنين	24
– التهجير عن أرض الوطن والشعور بالغربة	24
– الحنين إلى الوطن	26
– اللجوء إلى الطبيعة	26
– الحرية	27
– الغربة وتأثيرها	27
– الاعتقال والإبعاد	29
ثالثا: خصائص شعر الحنين	35
1– الخصائص الموضوعية	35
أ– المعاني والأفكار	35
ب– الوحدة والتعدّد	36
ج– العاطفة	36
2– الخصائص الفنية لشعر الحنين	37
أ– الألفاظ والأساليب	37

ب- الصورة الشعرية	38
ج- المحسّنات البديعية	38
د- الموسيقى	39
الفصل الثاني: تجليات الثورة والحنين في الأعمال الكاملة لابن الشاطئ	
المبحث الأول: تجليات الثورة في الأعمال الكاملة لابن الشاطئ	40
أولا: المعجم الدّلالي للثورة	40
1- معجم الألفاظ الدّالة على الثورة	40
- النضال	40
- الحصار	41
- القمع	42
- الصمود	43
- الشهادة	44
- الرّفض	45
- الدّم	46
- الجهاد والتضحية:	47
2- معجم أعلام الثورة	49
- شخصيتا خالد وسعد	49
- شخصية شرحبيل	50
- شخصية مسيلمة	51
- شخصية المثنّى	52
- شخصية طارق بن زياد	53
3- معجم الألفاظ الدّالة على وسائل الثورة	55
- القنابل	55
- الرّصاص	55

- الرشاش	56
- السيف	57
- البندقية	58
- الخنجر	59
ثانيا: متفرقات من الثورات	59
أ- فلسطين	60
ب- الجزائر	63
ج- الوطن العربي	68
ثالثا: ثورة الإبداع	70
1- الموسيقى الخارجية	70
أ- البحور الشعرية	70
ب- القافية	78
ج- الرّوي	81
2- الموسيقى الداخلية	82
أ- الجناس	83
ب- التكرار	84
ج- التصريع	86
د- التدوير	87
3- الصورة الشعرية	89
أ- التشبيه	90
ب- الإستعارة	92
ج- الكناية	95
د- المجاز المرسل	96
4- اللغة والأسلوب	97
أ- اللغة	97
ب- الأسلوب	102

5- تعدد الأغراض والموضوعات	104
أ- الأغراض	104
- الغزل	104
- الحنين	106
ب- الموضوعات	107
- الوطن	107
- الثورة	109
- عاطفة الحنين	110
المبحث الثاني: تجليات الحنين في الأعمال الكاملة لابن الشاطئ	111
أولا- الحنين إلى الوطن	111
ثانيا: الحنين إلى المرأة	112
ثالثا: الحنين إلى الأهل	114
رابعا: الحنين إلى الذكريات الماضية	115
خاتمة	117
ملحق	119
قائمة المصادر والمراجع	121
فهرس المحتويات	131